أثر المدائح النبوية في البلاغة العربية

الدكتور
أحمد مطلوب
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ـ ١ ـ

نزل القرآن الكريم فكان حجة بلاغية كبرى ومعجزة أدبية عظمى وقف العرب أمامها مبهورين لايعرفون لذلك سببا ولايملكون لتاثيره ردا . ولم يكن ازاء هذه المعجزة الا ان يرجعوا الى انفسهم لعلهم يجدون مخرجا ، ولكن الحجة اعيتهم ووقفت ألسنتهم واحتبست اصواتهم وهم يستمعون الى النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبلغ الناس قوله تعالى : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »[١] . وقوله تعالى : « أم يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله ، وان لا اله الا هو ، فهل أنتم مسلمون ؟ »[٢] . وقوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »[٣] . وعجزوا عن ان ياتوا بمثل هذا القرآن وهم اصحاب لسن وبلاغة فقالوا : « ماهذا الا سحر مفترى ، وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين »[٤] . وأخذوا يفرون من سماع كتاب الله خوفا من أن يؤثر في نفوسهم ويهديهم الى سواء السبيل كما هدى من قبل طليعة المسلمين ، وكانوا يقولون اذا سمعوه كما قال الوليد بن المغيرة وقد سمع النبي (ص) يتلو الآيات : « والله ، ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لعذق ، وان فرعه لجناة »[٥] .

وشغل الناس بالقرآن بعد أن انتشر الاسلام وأخذوا يتدارسونه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتراكيبه وما فيه من فنون وقف العرب امامها مبهورين . وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها « احق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ ـ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه » ، لان « الانسان اذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ماخصه الله به من حسن التاليف وبراعة التركيب وماشحنه به من الايجاز البديع »[٦] . وذهبوا ابعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد عن البلاغة انها « مابلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصّرك بمواقع رشدك وعواقب غيك »[٧] .

وكان تاثير القرآن واضحا في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرفيع . وكان لمسألة الاعجاز أثر كبير في تطور البلاغة العربية ، وكان المتكلمون أول من بحثوا في اعجاز القرآن وبلاغته ، واختلفت وجهات النظر في ذلك وتشعبت سبل القول واصبحت تلك الدراسات احسن مصدر للبلاغة وأجل مورد لمن أراد ان يتذوق القرآن ويفهم البيان .

(١) سورة البقرة ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة هود ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٣) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ .
(٤) سورة القصص ، الآية ٣٦ .
(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ .
(٦) كتاب الصناعتين ص ١ .
(٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٤ .

وسارت مواكب التاليف في البلاغة خدمة لكتاب الله ولغة الضاد، وظهرت مئات الكتب تتحدث عن اعجاز القرآن وبلاغة العرب وترصد الفنون البيانية التي لها تاثير في الادب . وشهد القرن السابع للهجرة لونا جديدا من التاليف في البلاغة هو « البديعيات » التي كانت تتضمن فنونا بلاغية معظمها في مدح النبي محمد (ص) ومن البحر البسيط وعلى روي الميم . وكانت المدائح النبوية قد ظهرت منذ عهد مبكر غير انها اخذت طابعها المعروف حينما ذاع التصوف وانتشر . ولعل بردة البوصيري (ـ ٦٩٧ هـ) اهم القصائد بين المدائح النبوية « فهي اولا قصيدة جيدة . وهي ثانيا اسير قصيدة في هذا الباب . وهي ثالثا مصدر الوحي لكثير من القصائد التي انشئت بعد البوصيري في مدح الرسول »(٨) . ومطلعها :

امن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من اضم

والبردة في اثنين وثمانين ومائة بيت، وتشتمل على عناصر . ففي صدرها النسيب ويليه التحذير من هوى النفس ، ثم مدح النبي (ص) والكلام على مولده ، والحديث عن القرآن الكريم والاسراء والمعراج والجهاد ، وتنتهي بالتوسل والمناجاة(٩) .

وكان للبردة اثر في اللغة العربية يتمثل في التاليف والدرس والشعر ، ولكن اثرها في البلاغة يتجلى في « البديعيات » التي كانت لونا من الوان البحث في فن القول وشرح الفنون البلاغية على مدى الاجيال .

والبديعيات كثيرة جدا ، وقد احصى منها الدكتور احمد ابراهيم موسى في كتابه « الصبغ البديعي في اللغة العربية » اربعا واربعين ، منها ماهو مشروح وما هو مجرد ، ومنها ماهو مطبوع وماهو مخطوط . وقد اختلف الباحثون في نشاتها فذهب الدكتور زكي مبارك الى ان ابا عبدالله محمد ابن احمد المعروف بابن جابر الاندلسي (ـ ٧٨٠هـ) ابتكرها ورسم اصولها(١٠) . وذهب ابن معصوم المدني الى ان صفي الدين الحلي (ـ ٧٥٠ هـ) اول

(٨) المدائح النبوية في الادب العربي ص ١٧١ .
(٩) حللها الدكتور زكي مبارك في كتابه « المدائح النبوية » ص ١٨٣ .
(١٠) المدائح النبوية ص ٢٠٤ .

من نظمها ، ولكنه استدرك وقال : « كنت اظن ان اول من نظم انواع البديع على هذا الاسلوب البديع فضمن كل بيت نوعا وانقاد له شموس هذا المرام طوعا ، هو الشيخ صفي الدين الحلي ـ رحمه الله تعالى ـ حتى وقفت في ترجمة الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان امين الدين السليماني الاربلي الصوفي الشاعر على قصيدة لامية له ، نظم فيها جملة من انواع البديع وضمن كل بيت منها نوعا منه اولها الجناس التام والمطرف ، وهو :

بعض هذا الدلال والادلال
حال بالهجر والتجنب حالي

ثم قال في الجناس المصحف والمركب :

جرت إذ حزت ربع قلبي ، واذ
لالي صبر ، اكثرت من اذلالي

فعلمت ان الشيخ صفي الدين لم يكن أبا عذر هذا المرام ولا اول من نظم جواهر هذا العقد في نظام فان الشيخ امين الدين المذكور توفي قبل ان يولد الشيخ صفي الدين بسبع سنين ، وذلك ان وفاة الشيخ أمين الدين في سنة سبعين وستمائة . وولادة الشيخ صفي الدين في سنة سبع وسبعين وستمائة . واما نظم أنواع البديع على هذا الوزن والروي الذي نظم عليه الشيخ صفي الدين ، فلا اتحقق ايضا ان الشيخ صفي الدين هو اول من نظم عليه ، فانه كان معاصرا للشيخ ابي عبد الله محمد ابن أحمد علي الهواري المعروف بشمس الدين بن جابر الاندلسي الاعمى صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان . ولا اعلم من السابق منهما الى نظم بديعيته على هذا الاسلوب وان كان الشيخ صفي الدين قد حاز قصبات السبق في مضمار براعة هذا المطلوب . فابن جابر لم يستوف الانواع التي نظمها الشيخ صفي الدين بل اخل بنحو سبعين نوعا من الانواع . وكلاهما لم يلتزما التورية باسم النوع البديعي . واول من التزم ذلك عز الدين الموصلي ثم تلاه الشيخ تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة ، والتزم ماالتزمه الشيخ عز الدين وزاد عليه في أكثر الابيات بحسن النظم والانسجام ، الا ان لذلك فضل المتقدم على المتاخر ، والمبتدع على المتبع . وقل من التزم بعدهما هذا الالتزام ، وماذلك الا لصعوبة هذا المرام »(١١) .

ورجّح الدكتور جواد علوش ان يكون صفي الدين الحلي أسبق من ابن جابر الاندلسي ، لانه

(١١) أنوار الربيع في انواع البديع ج ١ ص ٣١ .

توفي سنة ٧٥٠هـ ، وتوفي الثاني سنة ٧٨٠هـ ، وان ابن حجة الحموي اعترف باسبقيته في عدة مواضع من خزانته(١٢) . ولكن ذلك ليس دليلا اكيدا فقد يكون ابن جابر اسبق لانه كان قد تخطى الخمسين حينما مات الحلي ، ولعله نظمها في هذه السن او قبل ذلك بكثير ، فيكون له السبق في هذا المضمار .

ومهما يكن الامر من اختلاف الباحثين في نشأة البديعيات ، فان من اوائلها بديعية علي بن عثمان الاربلي (ــ ٦٧٠ هـ) الذي اشار اليه ابن معصوم المدني وعدّه اول من نظم هذا اللون . وبديعيته ليست في مدح النبي العظيم ولكنها في مديح بعض معاصريه ولذلك لاتدخل في المدائح النبوية وان كانت من اوائل البديعيات . وبديعية الاربلي تتضمن الفنون البلاغية ، وقد ذكر ابن شاكر الكتبي(١٣) ، ستة وثلاثين بيتا منها ، وفي كل بيت فن بديعي ، ففي قوله :

بعض هذا الدلال والادلال

حال بالهجر والتجنب حالي

جناس لفظي . وفي قوله :

جرت اذ حزت ربع قلبي ، واذ

لالي صبر ، اكثرت من اذلالي

جناس خطي . وفي قوله :

رق ياقاسي الفؤاد لاجفا

ن قصار اسرى ليال طوال

طباق . وفي قوله :

شارحات بدمعها مجمع البحـ

رين في حب مجمع الامثال

استعارة . وفي قوله :

نفت النوم في هواك قياسا

حيث أدنى منها خداعُ الخيالِ

مقابلة .

ولكن الشعراء بعد الاربلي اتجهوا الى مدح النبي (ص) ببديعياتهم معارضين بردة البوصيري ، ومن ذلك بديعية صفي الدين الحلي (٧٥٠هـ) وهي في مائة وخمسة واربعين بيتا ومطلعها :

(١٢) شعر صفي الدين الحلي ص ١٢٦ .

(١٣) فوات الوفيات ج ٢ ص ١١٨ .

إنْ جئت سلعا فسلْ عن جيرة العلمِ

واقرا السلام على عُربٍ بذي سَلَمِ

وضمن كل بيت فيها محسنا ، وضمت قصيدته مائة وخمسين اذ جعل فيها الجناس اثني عشر ضربا ، ففي المطلع براعة الاستهلال والتجنيس المركب والمشتبه . وفي البيت :

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم

لهم ولم أستطعْ مَعْ ذاك منع دمي

تجنيس ملفق . وفي البيت :

ابيت والدمع هامٍ هاملٌ سَرِبٌ

والجسم في اضَمٍ واللحم في وَضَمِ

تجنيس مذيل ولاحق . وفي البيت :

من شانه حمل اعباء الهوى كمدا

إذا هَمَى شانُه بالدمع لم يلُمِ

تجنيس تام ومطرف . وفي البيت :

منْ لي بكل غرير في ظبائهم

غرير حسن يداوي الكلْم بالكلِمِ

تجنيس مصحف ومحرف . وفي قوله :

بكل قدٍّ نضير لا نظير له

ما ينقضي املي منه ولا المي

تجنيس لفظي ومقلوب . وفي البيت :

وكل لحظ اتى باسم ابن ذي يزنٍ

في فتكه بالمنى أو أبي هَرَمِ

تجنيس معنوي . وضم كل بيت من الابيات الاخرى فنا بديعيا واحدا .

وسمى الحلي بديعيته « الكافية البديعية في المدائح النبوية » وشرحها بكتاب سماه « النتائج الالهية في شرح الكافية » وذكر انها كانت خلاصة سبعين كتابا(١٤) . وشرحها عبدالغني النابلسي (ــ ١١٤٣هـ) بكتاب سماه «الجوهر السني في شرح بديعية الصفي » ، وأثنى عليها الحموي (ــ ٨٣٧هـ) في خزانته وفضلها على البديعيات الاخرى، ومن

(١٤) البديعية في ديوان صفي الدين الحلي ص ٦٨٥ ، والتفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٢٨ ، والقزويني وشروح التلخيص ٤٤٥ ، ومصطلحات بلاغية ص ٩٣ ، وفنون بلاغية ص ٢١٤ ، والصبغ البديعي ص ٢٨١ ، والبلاغة تطور وتاريخ ص ٣٦٠ .

اعجابه بالحلي فقلده وجاراه وحذا حذوه . قال مفتخرا ببديعيته : « فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال ، وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع ، وهو في ذلك محلول العقال »(١٥) .

ونظم ابن جابر الاندلسي (ــ ٧٨٠هـ) بديعية في مائة وسبعة وعشرين بيتا استهلها بقوله :

بطيبةَ انزلْ ويمّمْ سيد الأمم
وانثرْ له المدح وانشُرْ أطيب الكلم

وسماها « الحلة السيرا(١٦) في مدح خير الورى »، وهي المعروفة ببديعية العميان .

وعدّه الدكتور زكي مبارك مبتكر هذا الفن ، وقال : « وقد شغل نفسه بمعارضة البردة ، ولكن أي معارضة ؟ لقد ابتكر فنا جديدا هو البديعيات ، وذلك ان تكون القصيدة في مدح الرسول ولكن كل بيت من أبياتها يشير الى فن من فنون البديع »(١٧) . وشرحها صديقه أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي (ــ ٧٧٩هـ) بكتاب سماه « طراز الحلة وشفاء الغلة » ، وأشار الى أن ابن جابر اتبع في سرد المحسنات الخطيب القزويني ، ولكنه بدأ باللفظ متابعا بدر الدين بن مالك في كتابه « المصباح » . قال : « وقد آن أنْ آخذ في الكلام على أبيات القصيدة حسبما تحصل به الفائدة ، ويعود على الناظر فيه بأحسن عائدة فنقول : إن المصنف تبع في هذه القصيدة القاضي جلال الدين القزويني صاحب « الايضاح » و « التلخيص » فذكر من ألقاب البديع ما ذكره ، الا أنّ المصنف بدأ بالقسم الذي يتعلق باللفظ وأخّر القسم الذي يتعلق بالمعنى على ما ستقف عليه ، وهو في هذا الترتيب موافق لصاحب « المصباح » وهو ترتيب حسن ؛ لان اللفظ وسيلة الى المعنى وحق الوسيلة أن تكون متقدمة ، وأيضا فان ما يتعلق بالمعنى لا يكون الا بعد التركيب بخلاف ما يتعلق باللفظ ، وحال الافراد مقدم على حال التركيب »(١٨)

واثنى السيوطي على بديعية ابن جابر وقال : « ان نظمها عال »(١٩) ، ولكن الحموي قال : « ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة الى طريق الجماعة ، غير أن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الاندلسي شرحها شرحا مفيدا »(٢٠) .

ونظم عزالدين الموصلي (ــ ٧٨٩هـ) بديعية في مائة وخمسة وأربعين بيتا التزم فيها تسمية الفن البديعي موريا بكلمة عنه في البيت الذي يتضمنها ، ومطلعها :

براعة تستهل الدمع في العلم
عبارة عن نداء المفرد العلم

ففي قوله « براعة تستهل » اشارة الى براعة الاستهلال ، وفي قوله :

فحيّ سلمى وسلْ ما ركّبت بشذا
قد أطلقته أمام الحي عن أمَمَ

تورية عن الجناس المركب والمطلق . وفي قوله :

ملفق ظاهر سرّي وشان دمي
لما جرى من عيوني إذْ وشى ندَمي

تورية عن الجناس الملفق واشارة اليه .

وكان الموصلي أول من فعل ذلك ليتميز على الحلي الذي لم يلتزم بتسمية النوع . قال عبدالغني النابلسي : « ثم جاء بعد صفي الدين الشيخ عزالدين الموصلي ــ رحمه الله تعالى ــ فعارضه بقصيدة على منوال قصيدته وذكر من الانواع ما ذكره وزاد عليه بعض شيء يسير من اختراعاته مسجبا بذكر النوع البديعي في ألفاظ البيت موريا به لئلا يحتاج الى تعريف النوع من خارج النظم ، ولكنه تعسف وتكلف في غالب ابياته وهجر مضجع الرقة والانسجام . ثم شرحها شرحا بين فيه مقصده ومراده مع الاختصار ، ولم يشف غلة الافكار »(٢١) .

ونظم أبو سعيد زين الدين شعبان بن محمد ابن داود بن علي الآثاري القرشي (ــ ٨٢٨هـ) ثلاث بديعيات ، سمى الاولى « بديع البديع في مديح الشفيع » وهي البديعية الصغرى ، وهي في مائة وتسعة وستين بيتا وقد التزم فيها تجريد ألقاب الانواع التي ضمنها في البديعية الكبرى(٢٢) . ومطلعها :

إن جئت بدرا فطب وانزلْ بذي سلم
سلّمْ على من سبا بدراً على علم

(١٥) خزانة الادب ص ٤٦٧ .
(١٦) السيراء : المخططة ، أو بخالطها حرير .
(١٧) المدائح النبوية ص ٢٠٥ .
(١٨) طراز الحلة وشفاء الغلة ص ١٧ .
(١٩) بغية الوعاة ج ١ ص ٣٥ .

(٢٠) خزانة الادب ص ١١ .
(٢١) نفحات الازهار ص ٣ .
(٢٢) بديعيات الآثاري ص ١١ ، ٢٠ .

وفيه براعة المطلع .

وسمى الثانية «بديع البديع في مديح الشفيع» ايضا ، وهي البديعية الوسطى ، وهي في ثلثمائة وثمانية ابيات ، ومطلعها :

دعْ عنك سلعا وسلْ عن ساكن الحرم
وخلّ سلمى وسلْ ما فيه من كرم

وسمى الثالثة « العقد البديع في مديح الشفيع » وهي البديعية الكبرى ، وهي في اربعمائة وسبعة ابيات ومطلعها :

حسن البراعة حمد الله في الكلم
ومدح احمد خير العرب والعجم

وفيه اشارة الى « حسن البراعة » ، وقد فعل مثل ذلك في الابيات الاخرى واشار الى الفنون البلاغية موريا .

وظهر في القرن الثامن اديب ناقد كان له اكبر الاثر في البديعيات ، وهو ابو بكر علي بن حجة الحموي (ــ ٨٣٧هـ) الذي وجد عصره يزخر بالبديعيات ، وكان قد اعجب ببديعتي الحلي والموصلي فاراد ان يضع بديعية تفوقهما وتعفو همهما، فنظم بديعية ضمن كل بيت فيها لونا بديعيا واشار الى اسمه في البيت نفسه وسماها «تقديم ابي بكر» وهي في مائة واثنين واربعين بيتا ، ومطلعها :

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم
براعة تستهل الدمع في العلم

ورأى أن هذه البديعية لن تكون ذات فائدة عظيمة ان بقيت ابيات شعر تحفظ وتروى من غير تبصر بفنونها البديعية فوضع لها شرحا سماه « خزانة الادب وغاية الارب » ووازن بينها وبين بديعتي الحلي والموصلي(٢٣) . وكان لهذا الشرح اثر في البلاغة والبديعيات التي جاءت بعد ذلك ، فقد اخذ بعضهم على نفسه شرح بديعيته كالسيوطي والباعونية والمدني والنابلسي .

والجلال الدين السيوطي (ــ ٩١١هـ) بديعية سماها « نظم البديع في مدح خير شفيع » في مائة واربعين بيتا مشتملة على مثلها من الانواع ، ومطلعها :

من العقيق ومن تذكار ذي سلم
براعة تستهل الدمع في العلم

وشرحها شرحا موجزا .

ونظم صدرالدين بن معصوم الحسيني المدني (ــ ١١١٧هـ) بديعية في مائة وسبعة واربعين بيتا ، ومطلعها :

حسن ابتدائي بذكرى جيرة الحرم
له براعة شوق يستهلّ دمي

وتتضمن الفاظ اياتها اسماء المحسنات البديعية ، ففي المطلع حسن الابتداء وبراعة الاستهلال . وفي قوله :

دعني وعجبي وعج بي بالمرسول ودعْ
مركب الجهل واعقل مطلق الرُّسُم

الجناس المركب والمطلق .

وشرحها بكتابه «انوار الربيع في انواع البديع» الذي جاء من اوسع المؤلفات البلاغية في الفترة المتاخرة(٢٤) .

ونظم عبدالغني النابلسي (ــ ١١٤٣هـ) بديعيتين لم يلتزم في احداهما تسمية النوع ، والتزمه في الثانية . ومطلع الاولى :

يا منزل الركب بين البان فالعلم
من سفح كاظمة حييت بالديم

وشرحها بكتابه « نفحات الازهار على نسمات الاسحار في مدح النبي المختار » .

ومطلع الثانية :

يا حسن مطلع من اهوى بذي سلم
براعة الشوق في استهلالها المسي

وقد التزم فيها التورية باسم النوع بعد ان انتقد ذلك في مقدمة شرح بديعيته الاولى ؛ لان ذلك يكسبه « تنافر الكلمات وغرابة المباني وقلاقة المعاني »(٢٥) . وقال : « ثم اني نظمت قصيدة اخرى على منوال هذه صرحت فيها باسم النوع تمثيلا لما ذكرته من الاستهلال ووفاء بما اشرت اليه في المقال . ثم اني كتبت كل بيت منها عند ما يماثله

(٢٣) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٢٣٥ ، والقزويني وشروح التلخيص ص ٤٤٧ .

(٢٤) التفصيل في مناهج بلاغية ٣٤٣ .

(٢٥) نفحات الازهار ص ٤ .

في الهامش على حسب مقتضى الحال »(٢٦) . وقال إن ابيات بديعيته مائة وخمسون بيتا مشتملة على مائة وخمسين لنا بعد زيادة انواع اطيفة لا توجد في البديعيات . وربما اتفق في البيت الواحد النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم(٢٧) .

وهناك بديعيات اخرى لوجيه الدين عبدالرحمن بن محمد اليمني (ـــ ٨٠٠هـ) وشرف الدين بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدي القاهري (ـــ ٨٠٧هـ) وابي الوفاء بن عمر العرضي الشافعي وقاسم بن محمد البكرجي (ـــ ١١٦٩هـ) وغلام علي ازاد (ـــ ١٢٠٠هـ) ومحمود صفوة الساعاتي (ـــ ١٢٩٨هـ) وعبدالهادي بن رضوان نجا الابياري (ـــ ١٣٠٥هـ) وعبدالقادر الحسيني الادهمي الطرابلسي وعبدالحميد قدس بن محمدعلي الخطيب (ـــ ١٣٣٥هـ) . ونظم المسيحيون بديعيات في مدح المسيح عليه السلام معارضة لبردة البوصيري والمدائح المحمدية(٢٨) .

ـ ٣ ـ

وساهمت المرأة في نظم البديعيات ، فقد نظمت عائشة الباعونية(٢٩) (ـــ ٩٢٢هـ) بديعية في مائة وثلاثين بيتا سمتها « الفتح المبين في مدح الامين » ومطلعها :

في حسن مطلع اقماري بذي سلم
اصبحت في زمرة العشاق كالعلم

ونظمتها على منوال بديعية ابن حجة من غير تسمية النوع البديعي تمسكا بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات ، وشرحتها واعتمدت على ابن حجة كثيرا . قالت في بديعيتها ومنهجها في الشرح : « وبعد فهذه قصيدة صادرة من ذات قناع ، شاهدة بسلامة الطباع متفتحة بحسن البيان ، مبنية على اساس تقوى من الله ورضوان ، سافرة عن وجوه البديع ، سامية بمدح الحبيب الشفيع ،

(٢٦) نفحات الازهار ص ٥ .
(٢٧) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٢٤٥ .
(٢٨) التفصيل في الصبغ البديعي ص ١٥٨ ومناهج بلاغية ص ٢٤٦ ، والقسروينى وشروح التلخيص ص ٤٥٦ ، والبلاغة تطور وتاريخ ص ٣٥٨ ، ودائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج ٣ ص ٤٧٠ .
(٢٩) هي عائشة بنت يوسف بن احمد بن ناصر الباعوني ام عبدالوهاب الدمشقية . (شذرات الذهب ج ٨ ص ١١١ ، والاعلام ج٤ ص٦ ، ومعجم المؤلفين ج٥ ص٥٧ ، واعلام النساء ج ٣ ص ١٩٦) .

مطلقة من قيود تسمية الانواع ، مشرقة الطوالع في افق الابداع ، مرسومة بين القصائد النبويات بمقتضى الالهام الذي هو عمدة اهل الاشارات بالفتح المبين في مدح الامين . استخرت الله تعالى بعد تمام نظمها وثبوت اسمها في شيء بروق الطالب موارده وتعظم عند المستفيد فوائده . وهو أن اذكر بعد كل بيت حد النوع الذي بنيت عليه واقر شاهده فان ذلك مما يفتقر اليه ، وانحو في ذلك سبيل الاختصار ولا اخل بواجب ، وانبه على ما لابد منه قصدا لنفع الطالب . والمسؤول من الفتاح بتاسيسها على قواعد اذن الله ان ترفع ، ومن مثبت رفعها بوجاهة مدح الوجيه المشفع ان يصلي ويسلم عليه ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وسيلة لي ولوالدي ولذريتي ولاحبابي ولمن والاني خيرا الى وفور الحظ من فضله العظيم ، وان ينيلنا بوجاهة الممدوح لديه ويحققه عليه نهاية الآمال وما لم يخطر لنا على بال من منايح الوسائل ومبار الاتصال ودوام العوافي والأمان وشمول العفو والرضوان ، انه جواد كريم رؤوف رحيم ، ومن الله استمد ، وعليه اعتمد ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب »(٣٠) .

وفي دار الكتب بالقاهرة شرح آخر لبديعيتها اكثر تفصيلا ، فقد توسعت فيه والتزمت ان تذكر عند كل محسن ما قاله ابن جابر الاندلسي والحلي والموصلي ، وهذا الشرح غير مطبوع . أما الاول فقد طبع على حاشية « خزانة الادب » للحموي ، ويبدو ان الدكتور احمد ابراهيم موسى لم يطلع عليه فقال عن الشرحين : « وكلاهما مخطوطان »(٣١) ، كما لم يطلع النابلسي على الشرح الكبير فقال في مقدمة « نفحات الازهار » : « ثم جاءت بعد ابن حجة فاضلة الزمان عائشة الباعونية ـــ رحمها الله تعالى ـــ ونظمت قصيدة على مثال قصيدته مع عدم تسمية النوع تمسكا بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات وشرحتها شرحا مختصرا ، وقفت عليه بخطها ـــ رحمها الله تعالى ـــ اسفرت فيه عن لثام البيان بقدر الطاقة وحسب التيسير » .

وقصيدة « الفتح المبين في مدح الامين » معارضة لبردة البوصيري والبديعيات الاخرى ، وقد جرت على غرارها في الوزن والروي ، فهي من البحر البسيط الذي يمتد فيه النفس ليعبر عن الخوالج ويستوعب الفكرة ، وعلى روي الميم المكسورة التي لها ايقاع عذب يحرك المشاعر ويهز القلوب . واذا

(٣٠) شرح بديعية الباعونية (خزانة الادب) ص ٣١٠ .
(٣١) الصبغ البديعي ص ٤٥ .

كانت بردة البوصيري قد اشتهرت ونالت حظا عظيما فلأنها أقل تكلفا من القصائد الاخرى ، ولأنها ابتعدت عن نهج البديعيات التي جاءت مجاراة لها وان لم تلحقها في الشاعرية وتصل الى غايتها في التأثير .

وعناصر القصيدة لاتخرج عما رسمته بردة البوصيري كثيرا وسارت عليه معظم قصائد مديح النبي صلى الله عليه وسلم ، وتتضح تلك العناصر في :

١ ــ النسيب .
٢ ــ الحديث عن الاحباء .
٣ ــ الكلام على باب السلام .
٤ ــ مدح النبي عليه السلام .
٥ ــ الكلام على معجزاته صلى الله عليه وسلم .
٦ ــ وصف النبي والحديث عن اخلاقه .
٧ ــ المناجاة .

يبدأ القسم الاول بالاشارة الى ذي سلم والحديث عن حب الشاعرة الذي جعلها « في زمرة العشاق كالعلم » ، وتشرح حالها ثم تخاطب سعدا قائلة : « ان ابصرت عيناك كاظمة وجئت سلعا فسل عن اهلها » لأن هناك أقمارا طالعة ، وهم احبة وأن حال البعد بينهم واورث الالم . لقد « علوا كمالا » و« ازدادوا دلالا » ، ولكنها احسنت الظن بهم وأن حاولوا تلفها . وتتحدث عما قيل لها من سلوهم ، وهي لن تسلوهم أو تنساهم بل ترجو عطفهم واشفاقهم عليها ، فكل شيء يهون ، السهاد والشوق والجوى . وأنى لها ان تسلوهم و « نار الحب موقودة وسط الحشا ، وعيون الدمع كالديم » ولها جفون لم تكتحل بغير السهد ، ولها « رسوم بغير السقم لم تسم » . وهي مهابة تهابها الأسد غير ان الأحبة اقوى واشد ، وانهم « أزروا بشمس الضحى والبدر حين بدوا وأومض البرق من تلقاء مبتسم » . وتخاطب نفسها قائلة : جدّي فان وصلوا فذلك هو القصد والا فموتي ميتة فيها اباء واحتشام وان كان العشق قد اخذ منها مأخذا عظيما ، وقد كتمت حالها ولكن شجنها يأبى ذلك كل الاباء ويفضحها الدمع والسقام . وتتحدث عن الذين قالوا لها « ارعوي » ، ولكن قلبها لا يطاوعها ، وهي لن تفصم العهد ولو علم العاذل ما بها وعرف مقدار لوعتها لتركها وهو معذور لانه لا يرى النور في الظلام ، ولعله يرى ذلك في يوم من الايام ويرى النصح في كلامها ويكف عن لومها . وهي لذلك تتركه وتنزه بيانها عن ذمه ، ثم تلتفت اليه قائلة :

« هل اعماك الجهل أو أن في طرفك عمى أو فقدت رشدك او صابك لمم ؟ » . لقد اتعبت نفسك في لومي فمعذرة مني اليك وان «سمعي عنك في صمم» اعذل وعنف ما استطعت فلن تراني الا كما شاء الهوى حافظة الذمم ، ولعلك ترى حسنهم فتكف عن اللوم وتتحدث عنهم مازجا ملامك بالذكرى فهي تعلة « لعليل الشوق من ألم » .

وتتخلص في القسم الثاني الى الحديث عن الذين ليمت في حبهم ، ولماذا هذا العذل وهم عرب استوطنوا السر منها فهو منزلهم ولن تبوح به يوما لغيرهم من الناس . انهم احبة ما لقلبها غيرهم من ارب ، وان حبهم لم يزل ينمو ويزداد منذ القدم ، وقد لزمت صدق ولائهم ؛ لانهم حلوا بقلبها وحلى جود منتهم جيدها . وهم آية في الجمال ، ولن تبلغ الشمس في الآفاق مشرقة لألاء حسنهم ، ثم تقسم اغلظ الايمان قائلة : « لا مكنتني المعالي أن لم أكن لهم خادمة » لانهم بفضلهم غمروني بما عجزت به عن شكرهم ، والبسوني من ضيائهم « نورا جلا ظلمي » و « البسوني ثياب الوصل » . وتستمر في كلامها بائنة وجدها ، وشارحة شوقها ومظهرة لوعتها وتتساءل : هل يجتمع شملها بهم ؟ وتجيب « نعم ، نعم » لقد حدثتني نفسي بذلك وهي غير كاذبة فيما تقول .

وتعود في القسم الثالث قائلة : ان اسعفت الايام يا سعد واجتمعت الاماني وجئت الحي ، عرج على قاعة الوعساء وانعطف على العقيق فالجرعاء من اضم ، واقصد مصلى به باب السلام وقف مقبلا موطيء القدم ، لان لي قلبا بذاك المحل رهينا وهو يعاني من الوجد الشيء الكثير . وتطلب منه ان يأتي الكريم ويقبل غير خائف من الواشين ليرى الحسن والاحسان ، وترجوه ان لا يصده عن ذلك نصح اللاحين وما صاغوا من كلم .

وتتخلص في القسم الرابع الى مدح النبي ــ صلى عليه وسلم ــ فهو ابن الذبيح ، وهو أبو الزهراء ، وجد الحسن والحسين ، وهو المرتضى الذي اختاره الله ــ سبحانه وتعالى ــ « قبل اللوح والقلم » وخير النبيين ، واسناهم نسبا ، واذكاهم حسبا ، واعلاهم قربا من الله . وقد « عزت جلالته » و « جلت مكانته » و « عمت هدايته » الناس جميعا ونزلت في مدحه محكم الآيات . وتتحدث عن الوحي والاسراء فقد خصه الله بالنبوة واصطفاه على سائر الانبياء في الأزل . وفي كلامها اشارة الى قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « كنت

نبيا وآدم بين الماء والطين » ولذلك فهو ذو الجاه الشفيع ، وذو المجد حيث يسير تحت لوائه أهل المجد يوم الحشر العظيم .

وتتحدث في القسم الخامس عن معجزاته ، وأولها القرآن الكريم الذي يتلى فيجد الناس فيه حلاوة ولايبلى ولا يبدل . ومن معجزاته ـ عليه السلام ـ لمس راحته التي تعقب راحة ، ومحوه المحن من ريقه الطاهر ، ومنها اطاعة النيرين لـه وتفجر الماء من اصبعيه .

وتنتقل في القسم السادس الى صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو « فريد حسن » و « بـدر الكمال » ، وهو السراج الهادي الذي اشتغل بالحق وأكتمل بالخلق واعتصم بالبر والتزم به . وهـو « للبذل مغتنم » و « بالبشر متسم » ، وهو ممجد في القرآن الكريم . وكان جماله عنـوان سـيرته ، ولو غدا البحر حبرا والشجر ورقا ماحصرت أوصافه ولولا أن يكون في الوصف خروج لقيل ان ذكـره « يحيي بالي الرمم » . وتتكلم على أوصافه الأخرى ، وتصفه بالكرم الذي يزري بكرم الآخرين ، فالغيث يهمي آونة ولكن غيث نداه ـ عليه السلام ـ لا يزال يهمي وسيظل كذلك الى يوم الدين . انه كريم يعطي السائلين ، وهو الحبيب « غوث الورى » و « كعبة الآمال » وكل معنى بديع دون رتبته . وتنتقل الى الكلام على تجريدها الحج للرسول ـ عليه السلام ـ وان قدمها لا تزال تسعى له بالصفا ، وقد دعاها بحر الوفاء بالوفاء الى نيل الوفاء ، وبلغت ما تروم منهم ، وهو القرب والحب والشوق . ثم تقول « سمح عزيمة صدق في محبته » و « نل مـرادك وابلغ ما تريد » و « افرده بالمدح » مستثنيا الذين حازوا علا الفضل « من فازوا بسبقهم » فهم الباذلون النفس بذل المال ، والحافظون الجار ، وهم « سود الوقائع » و « حمر البيض » في الحرب و « خضر المرابع » في السلم و « بيض الفعل والشيم » وهم في غبار المعركة كالبدور في « حندس الظلم » وقد هزموا الجمع وما فلت عزائمهم ، وهم النجوم وقد فازوا بالسبق يتقدمهم خليفة رسول الله ذو القـدم ، ولاعيب فيهم سوى انهم لا يضام لهم ولايبخلون بشيء في العدم ، وقد سادوا المعالي بخير الخلق في الأزل ، وحازوا الاماني باوفى الناس للذمم .

وتنتقل في القسم السابع الى المناجاة وتعلقها بطه الحبيب الذي تلوذ به ان خافت ذنبها ، وكيف لن ينجيها « من النقم » وهو الذي يبلغها فوق الذي تروم حينما تطمح الى « شيء من الكرم » .

وما هبت الريح الا رات برق وفاء لهافيه وبل عطاء من ديمة النعم .

وتختم قصيدتها مخاطبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقولها : « ياأكرم الرسل سؤلي فيك غير خف ، وأنت اكرم مـدعو الى الكـرم » وحسبي بحبك ان المرء يحشر مع احبابه ، وذلك فوز عظيم وهناء « غير منحسم » .

ان القصيدة تجري مجرى البديعيات الأخرى من حيث عناصرها ، وهي عظيمة بمعانيها وغزيرة بأوصافها ، غير ان الشاعريـة فيها ضعيفـة ، والتكلف باد في كثير من ابياتها وذلك بسبب التزام الشاعرة بفنون البديع التي اصبحت قيدا التزم به البديعيون . ويبدو في قوافي القصيدة القلق والتكرار . وما ذلك الا لان الشاعرة تريد أن تصل الى هدفها وهو الاستشهاد على الفن البديعي ، وهذا من الصنعة التي تخرج الشعر عن سبيلـه وتحيله نظما فيه من التكلف الشيء الكثير . ولكن قداسـة الموضوع ونبل الهدف وشرف الغاية تشفع لعائشـة الباعونيـة التي كانت صورة صادقـة للمؤمنات في عهدها ، ومثالا للحياة الأدبية في القرن العاشر للهجرة . وقد وصفها ابن العماد الحنبلي بقوله : « الشيخة الصالحة الأديبة العالمة العاملة أم عبد الوهاب الدمشقية ، أحد أفراد الدهور ونوادر الزمان فضلا وأدبا وعلما وشعرا وديانة وصيانة ، تنسكت على يد السيد الجليل اسماعيل الخوارزمي ثم على خليفة المحيوي يحيى الأرموي . ثم حملت الى القاهرة ونالت من العلوم حظا وافرا ، واجيزت بالافتاء والتدريس »(٣٢) .

وقصيدة عائشـة الباعونيـة نفحـات من التصوف وليس ما فيها من اوصاف حسية وحديث عن الحب واللوعة والشوق مما يعرفه الشعـراء الحسيون ، وانما هو الشوق الى الله والهيام بحب نبيه المصطفى عليه السلام . وهي في ذلك تنحو منحى الشعـراء المتصـوفين كابن الفارض والبوصيري وغيرهما من أعلام العشق الالهي . تقول من كلام لها : « وكان مما انعم الله به علي انني بحمده لم ازل اتقلب في اطوار الايجاد في رفاهية لطائف البـر الجواد ، الى أن خرجت الى هذا العالم المشحون بمظاهر تجلياته ، الطافح بعجائب قدرته وبدائع ارادتـه ، المشوب موارده بالاقـذار والاكـدار ، الموضوع بكمال القدرة والحكمة للابتلاء والاختبار ، دار ممر لابقاء لها الى دار القرار . فرباني اللطف

---

(٣٢) شذرات الذهب ج٨ ص١١١ .

الرباني في مشهد النعمة والسلامة ، وغذاني بلبان مداد التوفيق لسلوك سبيل الاستقامة وفي بلوغ درجة التمييز اهلني الحق لقراءة كتابه العزيز ، ومن علي بحفظه على التمام ولي من العمر حينئذ ثمانية اعوام . ثم لم ازل في كنف ملاطفات اللطيف حتى بلغت درجة التكليف »(٣٣) . وهـذا كلام صوفية تتوق الى خالق الكون لا الى محبوب هجرها او حبيب خانها ، وقصيدتها « الفتح المبين في مدح الامين » تعبر عن هذا الوجد وتصور النزعة الصوفية أروع تصوير .

وليس الكلام هنا على النزعة الصوفية عند عائشة الباعونية وانما الحديث عن قصيدتها وما فيها من فنون بلاغية جعلتها من أشهر البديعيات ؛ وعن شرحها الذي يعد من جملة كتب البديع . والقصيدة كما ذكرتها في شرحها هي :

— ٣ —

١ — في حسن مطلع اقماري بذي سلم … اصبحت في زمرة العشاق كالعلم (٣٤)

٢ — اقول والدمع جار جارح مقلتي … والجار جار بعذل فيه متهم (٣٥)

٣ — يا للهوى في الهوى روح سمحت بها … ولم اجد روح بشرى منهم بهم (٣٦)

٤ — وفي بكائي لحال حال من عدمي … افنيت صبرا فما اجدى منع دمي (٣٧)

٥ — يا سعد ان ابصرت عيناك كاظمة … وجئت سلعا فسل عن اهلها القدم (٣٨)

٦ — فثم اقمارتم طالعين على … طويلع ، حبهم والنزل بحبهم (٣٩)

٧ — احبة لم يزالوا منتهى املي … وان هم بالتنائي اوجبوا المي (٤٠)

٨ — علوا كمالا ، جلوا حسنا ، سبوا امما … زادوا دلالا ، فمن صبري فيا سقمي (٤١)

٩ — أحسنت ظني وان هم حاولوا تلفي … وتم سر وضني فيه من شيمي (٤٢)

١٠ — البحتري وابو تمام كل شجي … عاني الغرام الى قلبي لاجلهم (٤٣)

١١ — قيل اسلهم قلت إن هبت صبا سحرا … واشرق البدر تما سلمع شهرهم (٤٤)

---

(٣٣) شذرات الذهب ج ٨ ص ١١٢ .

(٣٤) فيه براعة المطلع ، وهو ان تكون المعاني واضحة في استهلالها وان يكون المطلع يدل على معنى القصيدة ويناسب الغرض ، وهو حسن الابتداء .

(٣٥) فيه جناس مذيل (جار — جارح) وهو « أن يجيء بكلمتين متجانستي اللفظ متفقتي الحركات غير انهما تختلفان بحرف واحد » (الشرح ص ٣١٢) وفيه جناس تام (الجار — جار) وهو « أن يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظا مختلفتين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما » (الشرح ص ٣١٣) .

(٣٦) فيه جناس محرف (روح — روح) وهو « ما اتفق ركناه في تعداد الحروف وتركيبهما سواء من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك فان القصد اختلاف الحركات » (الشرح ص ٣١٣) .

(٣٧) فيه جناس ملفق (من عدمي — منع دمي) وهو « أن يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين » (الشرح ص ٣١٤) .

(٣٨) فيه جناس مركب (سلعا — سل عن) وهو أن يكون احد الركنين مركبا من كلمتين والآخر كلمة مفردة .

(٣٩) فيه جناس مصحف (ثم — تم) وهو ان تكون الكلمتان متشابهتين في الخط مختلفتين في التنقيط .

وفيه جناس مطلق (طالعين — طويلع) وهو ما يوهم احد ركنيه أن اصلهما واحد وليس الامر كذلك .

(٤٠) فيه جناس مخالف (املي — المي) وهو « أن يشتمل كل واحد من الركنين على حروف الآخر دون ترتيبهما » (الشرح ص ٣١٥) .

(٤١) فيه جناس لاحق (علوا — جلوا) وهو ما ابدل من احد ركنيه حرف من غير مخرجه . والعين في الشاهد من مخرج والجيم من مخرج غيره .

(٤٢) فيه جناس لفظي (ظني — ضني) وهو « ما تماثل ركناه وتجانسا خطا لكن خالف احدهما الآخر بابدال حرف فيه مناسبة لفظية » (خزانة الادب ص ٣٨) .

(٤٣) فيه جناس معنوي (البحتري — أبو تمام) ، قالت الشاعرة : « فان البحتري هو منشيء العروض اسمه الخليل ، وابو تمام الشاعر اسمه حبيب . وقد ظهر في هذا البيت جناسان مضمران ، وهما خليل وخليل ، وحبيب وحبيب » (شرح البديعية ص ٣١٧) . وهذا الجناس نوعان : تجنيس اضمار وتجنيس اشارة . (ينظر خزانة الادب ص ٥٠ وما بعدها) .

(٤٤) فيه مناقضة ، فقد علقت الشاعرة الشرط فيه على الممكن —

١٢ ــ مالي رجوع عن الأشجان في وَلَهي ... بل عن سلوّي رجوعي صار من لزمي(٤٥)
١٣ ــ رجوتهم(٤٦) أن يعطفوا فضلاً وقد عطفوا ... لكن على تَلَفي من فرْط عشقهم(٤٧)
١٤ ــ هان السهادُ غراماً فيه أقلقني ... شوقي ومنُ الكرى وَجْداً فلم أنم(٤٨)
١٥ ــ وعاذل رام سلواني فقلت له ... من المحال وجود الصيد في الأجم(٤٩)
١٦ ــ عذلتني وادّعيت النصح فيه فلا ... برحت تسعى بلا حدٍّ الى النعم(٥٠)
١٧ ــ كيف السلو ونار الحب موقدة ... وسْط الحشا وعيون الدمع كالديم(٥١)
١٨ ــ ولي جفون بغير السهد ما اكتحلتْ ... ولي رسومٌ بغير السقم لم تسم(٥٢)
١٩ ــ تهابني الأُسْدُ في آجامها وظبا ... تلك الظبا قد أذلتني لعزهم(٥٣)
٢٠ ــ ازْرَتْ بشمس الضحى والبدر حين بدَوا ... وأومَضَ البرقُ من تلقاء مبتسم(٥٤)
٢١ ــ يا نفسُ ماذا الونى جدّي فان يصلوا ... فالقصدُ ، أو لا فموتي موت محتشم(٥٥)
٢٢ ــ لذكرهم سار سمْع العذل يطربني ... من اللواحي ويلحيني لشكرهم(٥٦)
٢٣ ــ بلغت في العشق مرمى ليس يدركه ... إلا خليعٌ صبًّا مثلي الى العدم(٥٧)
٢٤ ــ كتمت حالي ويأبى كتمه شجني ... بحكمي الفاضحين : الدمع والسقم (٥٨)

والمستحيل ومراد المتكلم المستحيل ؛ لان المناقضة هي تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط فكان المتكلم ناقض نفسه في الظاهر اذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين (خزانة الادب ص ١٤٤) .

(٤٥) فيه رجوع ، وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة . (الايضاح ص ٣٥٢ ، التلخيص ص ٣٥٩ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٢١) .

(٤٦) كذا في الاصل ، و (رجوت) اقرب الى الوزن .

(٤٧) فيه استدراك ، والاستدراك قسمان ، قسم يتقدم الاستدراك فيه تقريرا لما اخبر به المتكلم وتوكيدا له كقول بعضهم :

واخوان تخذتهم دروعا
فكانوها ولكن للأعادي

وقسم لا يتقدمه تقرير وتوكيد كقول زهير بن أبي سلمى :

اخو ثقة لا يهلك الخمر ماله
ولكنه قد يهلك المال نائله

وقالت الشاعرة : ((والاستدراك في بيتي المتقدم على هذه النبذة من القسم الاول)) (الشرح ص ٣١٩) .

(٤٨) فيه مطابقة (السهاد ــ الكرى) ، والمطابقة أن يجمع بين ضدين مختلفين .

(٤٩) فيه تمثيل أخرج مخرج المثل وهو قولها : ((من المحال وجود الصيد في الاجم .

(٥٠) فيه ابهام ، وهو ان يقول المتكلم كلاما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز احدهما عن الآخر . ولا يفهم من بيت الشاعرة أدعاء هو للعاذل ام دعاء عليه ؟ لانه يصلح للأمرين .

(٥١) فيه استعارة في ((نار الحب)) .

(٥٢) فيه ارداف ، والارداف من الكناية وهو ((أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه)) (الشرح ص ٣٢٢) ومراد الشاعرة انها من العشق لا تنام وانها هزيلة اضناها السقم .

(٥٣) فيه افتنان (النسيب والحماسة) ، والافتنان هو ((ان يأتي الشاعر بفنين متضادين من الشعر مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء)) (الشرح ص ٣٢٣) .

(٥٤) فيه مراعاة النظير وهو الجمع بين أمر وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة (خزانة الادب ص ١٣١) ، وقد جمعت الشاعرة بين الشمس والبدر وهما غير متضادين .

(٥٥) فيه عتاب المرء نفسه ، وقد عتبت الشاعرة على نفسها قائلة : ((يا نفس ماذا الونى ...؟)) . قال الحموي عن هذا الفن : ((لم أجد العتب مرتبا الا على من أدخله في البديع وعده من أنواعه)) (خزانة الادب ص ١٤٤) .

(٥٦) فيه مغايرة ، وهي ان يتلطف المرء بتوصله الى ما كان ذمه هو أو غيره . ومن المعروف ان اللواحي مذمومون فتلطفت الشاعرة في مدحهم وجعلتهم سببا لطربها وأوجبت شكرهم .

(٥٧) فيه سلامة الاختراع . قالت الشاعرة : ((واني فيما أعلم لم أسبق الى هذا المعنى)) (الشرح ص ٣٢٦) .

(٥٨) فيه توشيع (الدمع والسقم) وهو ((أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم يأتي بعده بكلمتين مفردتين هما عين ذلك المثنى تكون الاخرى منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كانه تفسير لما ثناه)) (الشرح ص ٣٢٦) .

٢٥ـ قالوا : ارعوي قلت : قلبي ما يطاوعني قالوا : انثني ، قلت : عهدي غير منفصم(٥٩)
٢٦ـ قالـوا سلوت فقلت الصبـر في كلفي قالـوا يئست فقلت البـرء في سقمي(٦٠)
٢٧ـ يا عاذلي انت معـذور فلست ترى إذا بـدا الصبـح ما غطى غشى الظلم(٦١)
٢٨ـ ابرمت عـذلاً ويخشى أن تجربـه لي السلـو ومـا السلـوان من شيمي(٦٢)
٢٩ـ اجـر الامـور على اذلالهـا فعسى تـرى بعينيك وجـه النصـح في كلمي(٦٣)
٣٠ـ عـن ذم مثلك تبـاني النزهـه إذ أنت عنـدي معـدود من النعـم(٦٤)
٣١ـ الجهـل اغوالك أم في الطرف منك عمى أم غاب رشـدك أم ضـرب من اللـمم(٦٥)
٣٢ـ أتعبت نفسـك في عـذلي ومعـذرة منـي اليـك فسمعي عنـك في صمم(٦٦)
٣٣ـ اعـذل وعنف وقل ما اسطعت لا ترني إلا كمـا شـاء وجـدي حافظاً ذممي(٦٧)
٣٤ـ تسومني الصبر عمن لي حـلا بهـم جميـع ما مـر من حـالات عشقهـم(٦٨)
٣٥ـ لم يا عـذول وشاهـد حسنهم فاذا شاهدتـه واستطعت اللوم بعـد لم(٦٩)
٣٦ـ ابن انل عرفن فـرع لنـا نبـأ من المـلام وحشـيه بوصفهـم(٧٠)
٣٧ـ وامزج ملامك بالذكـرى فان بهـا تعللاً لعليـل الشـوق من ألـم(٧١)
٣٨ـ كرر اعـد اطرب ابسط ثن غن أجب فـل سـل جـد ترنم بـر من دم(٧٢)

---

(٥٩) فيه مراجعـة (قالوا ـ قلت) وهي ان يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة بينه وبين غيره باوجز عبارة . (الشرح ص ٢٢٧) .

(٦٠) فيه القول بالموجب ، وهو ضربان : الاول : أن يقع صفة في كلام مدع شيئاً يعني به نفسه فتثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح له بثبوتها له ولا بنفيها عنه كقوله تعالى : « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين ، فاثبت الله تعالى صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت الاخـراج بصفة العزة ولا لنفيها .

والثاني : حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه كقوله :

قلـت ثقلـت اذ أتيت مرارا
قـال ثقلـت كاهلي بالأيادي

وبيت الشاعرة من هذا النوع ، قالت : « وقد فتسـع الله علي بالمقصود من هذا القسم الثاني في بيتي المتقدم بشرطه المعتبر عند أهل البديع ، والله أعلم » (الشرح ص ٢٢٨) .

(٦١) فيه تهكم بلفظ الوعد مكان الوعيد .

(٦٢) فيه موارية وهي ان يقول المتكلم ما ينكر عليه بسببـه وتتوجه عليه المؤاخذة فاذا حصل الانكار عليه استحضر بحذقه وجهاً من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة اما بتحريف كلمـة أو تصحيفها أو بزيادة أو بنقص . قالت الشاعرة : « فان الموارية فيه بالتصحيف والتحريف ... وموضع الموارية من بيتي في لفظـة « ويخشى » فان المراد بالباطن التاء المثناة الفوقية وفتحها والسين المهملة فاتيت بالياء المثناة التحتية وضمهـا والشين المعجمة وتخلصت من المؤاخذة . والمعنى قبـل الموارية انتقل البيت من صيغة الى أخرى » (الشرح ص ٢٢٩) .

(٦٣) فيه ضرب المثل ، وقد وقع ارساله في صدر البيت وهو « أجر الامور على اذلالها » .

(٦٤) فيه نزاهة ، وهي ان ينزه المتكلم كلامه من الفحش في الهجاء .

(٦٥) فيه تجاهل العارف ، وهو سؤال المتكلم عما يعلم سؤال ما لا يعلم .

(٦٦) فيه الهزل يراد به الجد .

(٦٧) فيه بسط ، وهو بسط الكلام بشرط زيادة في الفائدة .

(٦٨) فيه تورية ، وهي « ان يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان او حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالـة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع اول وهلة انه يريد القريب وليس كـذلك » (خزانة الادب ص ٢٣٩) والتورية في (ما مر) اذ يحتمل المرارة بدليل « حلا بهم » والمضي أيضاً .

(٦٩) فيه تصدير وهو رد العجز على الصدر (لم يا عذول ـ بعد لم) .

(٧٠) فيه ما لا يستحيل بالانعكاس ، والشطر الاول من البيت يقرأ معكوساً ايضاً .

(٧١) فيه تالف اللفظ والمعنى ، وهو « ان تكون الفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى » (الشرح ص ٢٣٦) .

(٧٢) فيه تفويف ، وهو أن يأتي المتكلم بمعان شتى من المدح
ـــــــ»»

٣٩ـ أعيدُ حديثَ أحبائي فهم عربٌ   قد أعرب الدمع فيهم كل منعجم (٧٣)

٤٠ـ واستوطنوا السرَّ مني فهو منزلهم   ولا أفوه(٧٤) بـه يوماً لغيرهم (٧٥)

٤١ـ بدا الصدود ببعدي عن جوارهم   عاد وصل بقربي من محلهم (٧٦)

٤٢ـ أحبه ما لقلبي غيرهم أربٌ   وحبهم لم يزل يربو من القدم (٧٧)

٤٣ـ لزمت صدقي ولاهم والتزمت به   فلست أسلوه إلا عن سلوّهم (٧٨)

٤٤ـ حلّوا بقلبي وحلّى جود منتهم   جيدي وشكر الأيادي سمعي وفمي (٧٩)

٤٥ـ ما بهجة الشمس في الآفاق مشرقة   يوماً بأبهج من لألاء حسنهم (٨٠)

٤٦ـ لا مكنتني المعالي من سيادتها   إن لم أكن لهم من جملة الخدم (٨١)

٤٧ـ بفضلهم غمروني من فواضلهم   بما عجزت به عن حق شكرهم (٨٢)

٤٨ـ والبسوني مذ آنست نارهم   من طور حضرتهم نوراً جلا ظلمي (٨٣)

٤٩ـ والبسوني ثياب الوصل مُعلَمةً   بقربهم وأقروا في القرى علمي (٨٤)

٥٠ـ وخوّلوني ملكاً فيه فزتُ بهم   فوز العماة بوافي فيض فضلهم (٨٥)

أو الغزل أو غير ذلك من الاغراض عن كل فن في سجعة منفصلة عن أختها مع تساوي الجمل في الوزن . (الشرح ص ٢٢٧) . وهذا الفن ظاهر في كل لفظة من ألفاظ البيت . .

(٧٣) فيه ادماج ، وهو ((ان يدمج المتكلم غرضا له في جملة معنى من المعاني قد نحاه ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض في كلامه لتتميم معناه الذي قصده . (الشرح ص ٢٢٨) . وقد ادمجت الشاعرة شرح الحال في هواهم في التعريف بهم .

(٧٤) في الاصل : ولم افوه . ويحتمل ان ((لم)) استفهام وان ذكرت الشاعرة في الشرح ((لا افوه)) .

(٧٥) فيه استخدام ، وهو لفظ مشترك بين معنيين ويراد بذلك اللفظ احد المعنيين ثم يعاد عليه ضمير ليراد به المعنى الآخر ، أو يعاد عليه ضميران ويراد بأحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر . ولفظة ((السر)) في البيت محتملة القلب والكلام المستودع ، فلما قالت ((فهو منزلهم)) استخدمت أحد معنيي اللفظ وهو دلالته بالقرينة على القلب . ولما قالت : ((ولا افوه)) استخدمت المعنى الآخر وهو دلالته بالقرينة على الكلام المستودع .

(٧٦) فيه مقابلة (بدا ـ عاد) ، (الصدود ـ وصل) ، (بعدي ـ قربي) ، (عن ـ من) ، (جوارهم ـ محلهم) .

(٧٧) فيه تآلف اللفظ والوزن ، وهو ان تكون الافعال والاسماء تامة ولم يضطر الشاعر في الوزن الى نقصها أو زيادتها . (الشرح ص ٢٤٤) .

(٧٨) فيه تآلف المعنى والوزن وهو ((أن تأتي المعاني في الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر في الوزن الى قلبها عن وجهها)) (خزانة الادب ص ٤٢٨) .

(٧٩) فيه ابداع ، وهو ان يأتي الشاعر في البيت الواحد من الشعر أو القرينة الواحدة من النثر عدة ضروب من البديع ومتى لم يكن ذلك فليس بابداع . (الشرح ص ٢٤٦) . وقد جمعت الشاعرة بين الجناس المطلق (حلوا ـ حلى) و (الجود ـ الجيد) و (السمع ـ الفم) ، والتورية في (وحلى) وحسن البيان ، والسهولة ، والانسجام ، وتآلف اللفظ والوزن ، وتآلف الوزن والمعنى ، والمناسبة ، والبسط .

(٨٠) فيه تفريع وهو ((أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفي بـ ((ما)) خاصة ثم يصف ذلك الاسم المنفي بأحسن أوصافه المناسبة للمقام ، اما في الحسن واما في القبح ، ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك ، ثم يخبر عن ذلك الاسم بـ ((أفعل)) التفضيل ثم يدخل ((من)) على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرهما ويعلق المجرور بـ ((أفعل)) التفضيل فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بـ ((من)) وبين الاسم الداخل عليه ((ما)) النافية ، لان حرف النفي قد نفى الافضلية فبقي المساواة)) (خزانة الادب ص ٤١٤) .

(٨١) فيه القسم وجوابه وهو ((ان يريد الشاعر الحلف على شيء فيأتي في الحلف بما يكون مدحا او بما يكسوه فخرا ، أو يكون هجاء لغيره أو وعيدا أو جاريا مجرى التغزل والترقق)) (الشرح ص ٢٤٨) .

(٨٢) فيه حسن البيان ؛ وهو ((الابانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس)) (خزانة الادب ص ٤٥٦) .

(٨٣) فيه توشيع وهو أن يكون أول الكلام دالا عليه .

(٨٤) فيه مجاز (ثياب الوصل) ، والمجاز هو التعبير عن المعنى بغير لفظه الموضوع له .

(٨٥) فيه استطراد ، وهو الخروج من غرض الى آخر على شرط ان يرجع الى الكلام الاول .

٥١ــ لهم شمائل بالاحسان قد شملت ... وعلمت كرم الاخلاق والشيم(٨٦)

٥٢ــ ولي عوائد منهم بالجميل لها ... بمنهم اتصال غير منصرم(٨٧)

٥٣ــ وما الوفا راق(٨٨) عيش المستهام بهم ... فلا جفا بعدما جادوا بوصلهم(٨٩)

٥٤ــ حلوا بقلبي فيا قلبي تهن بهم ... وافرح ولا تلتفت عنهم لغيرهم(٩٠)

٥٥ــ قد طال شوقي وقلبي منزل لهم ... الى الطلول التي تسمو باسمهم(٩١)

٥٦ــ فليت شعري هل حالي بمنتظم ... قبل الفوات وهل شملي بملتئم(٩٢)

٥٧ــ نعم نعم حدثتني وهي صادقة ... ظنون سري حديثا غير متهم(٩٣)

٥٨ــ عن جودهم عن نداهم عن فواضلهم ... عن منهم عن وفاهم نيل برهم(٩٤)

٥٩ــ سادوا بجودهم جم وبذلهم ... حتم وموردهم عذب لكل ظمي(٩٥)

٦٠ــ يا سعد إن ساعد الاسعاد واجتمعت ... لك الاماني وجئت الحي عن ألم(٩٦)

٦١ــ عرج على قاعة الوعساء منعطفا ... على العقيق على الجرعاء من اضم(٩٧)

٦٢ــ واقصد مصلى به باب السلام وقف ... لدى المقام وقبل موطيء القدم(٩٨)

---

(٨٦) فيه التهذيب والتأديب ، وهو وصف يعم كل كلام منقح محرر .

(٨٧) فيه انسجام ، وهو ما خلا من التعقيد وكان كانسجام الماء في انحداره .

(٨٨) في الاصل : وفالوا فا .

(٨٩) فيه تشريع ، والتشريع أن يأتي الشاعر ببيته على وزنين او من أوزان العروض وقافيتين فاذا أسقط من أجزاء البيت جزء أو جزآن صار ذلك البيت من وزن آخر غير الاول . (الشرح ص ٣٦٠ وخزانة الادب ص ١١٩) . وقد اخرجت الشاعرة من البيت قافية أخرى من منهوك الرجز وهو (وفا الوفا فلا جفا) ، وصار باقي البيت من غير الجزئين الاولين (راق عيش المستهام بهم بعدما جادوا بوصلهم) ، وهذا البيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من البسيط .

(٩٠) فيه التفات ، وهو الانصراف من اسلوب الى آخر ، وبيت الشاعرة فيه انصراف المتكلم من الاخبار الى المخاطبة .

(٩١) فيه احتراس ، والاحتراس « هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك » (خزانة الادب ص ٤٥٨) . قالت الشاعرة : « وقولي في بيتي التقدم وقلبي منزل لهم احتراس من توهم خلو القلب منهم اذا فهم شدة شوقي الى ديارهم فلما قلت : « وقلبي منزل لهم » ازلت التوهم وأعلمت ان ذلك الشوق شوق البصر الى رؤية مشاهدهم . وأما البصيرة فهي معمورة بهم لا يحتجبون عنها طرفة عين » (الشرح ص ٣٦٥) .

(٩٢) فيه تألف اللفظ باللفظ (منتظم ــ ملتئم) ، وهو « أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عشرة معان فيختار منها لفظة بينهما وبين الكلام ائتلاف » (خزانة الادب ص ٤٣٨) .

(٩٣) فيه تكرار (نعم نعم) ، والتكرار اعادة اللفظ لتقرير المعنى .

(٩٤) فيه مناسبة ، وهي مناسبة في المعاني ومناسبة في الالفاظ ، والمعنوية هي أن يريد المتكلم معنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقول الشاعرة . والمناسبة اللفظية هي الاتيان بكلمات متزنات ، ومن ذلك قوله عليه السلام : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » فقال عليه السلام (لامة) ولم يقل (ملمة) وهي القياس لمكان المناسبة اللفظية التامة وغير التامة لانها في الزنة دون التقفية .

(٩٥) فيه حسن النسق ، وهو « أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا مستهجا وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية اذا افرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه » (خزانة الادب ص ٤١٥) .

(٩٦) فيه ايجاز ، وتقدير كلام الشاعرة : « يا سعد ان ساعدت الاقدار بالاسعاد واجتمعت لك جميع الاماني وجئت ذلك الحي » فحذفت بعض هذه الالفاظ لدلالة الباقي عليها .

(٩٧) فيه تتميم ، وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود المتكلم فيتمه .

قالت الشاعرة : « والتتميم واضح في بيتي المتقدم في قولي « منعطفا » فان البيت صحيح المعنى بدون هذه اللفظة ولكن بمجيئها فيه تتميم معنوي فان البيت مشتمل على دلالة سعد على طريق القصد بالتعريج على قاعة الوعساء وفي المجيء الامر له بالانعطاف زيادة في الدلالة لاتخفى محاسنها وبها صح النوع في البيت » (الشرح ص ٣٧٢) .

(٩٨) فيه تجريد ، والتجريد « هو أن ينتزع من امر ذي صفة امرا آخر مثله » (الايضاح ص ٣٦٣ والتلخيص ص ٣٦٨ وشروح التلخيص ج ٤ ص ٣٤٨) . وقد جردت الشاعرة من المصلى مقاما ، ومن المقام موطيء القدم .

٦٣ـ فلي فؤاد بذاك الحي مرتهن	سلا السلو وعاني وجده بهم(٩٩)
٦٤ـ ناشدته الله والأنوار مشرقة	تعلو المعالم من سكانها القدم(١٠٠)
٦٥ـ ائت الكريم وهذا طور حضرتهم	اقبل ولا تخف الواشين بالكلم(١٠١)
٦٦ـ وشاهد الحسن والاحسان جزؤهم	ولا تدع منك جزء غير مقتسم(١٠٢)
٦٧ـ ولا يصدك عن بذل الوجوه لهم	نصح اللواحي وما صافوا بنطقهم(١٠٣)
٦٨ـ هم المفاليس ما ذاقوا الغرام ولا	امّوا حمى خير خلق الله كلهم(١٠٤)
٦٩ـ محمد المصطفى ابن الذبيح ابو ال	زهراء جد أميري فتية الكرم(١٠٥)
٧٠ـ الوافر العظم ابن الوافر العظم اب	ن الوافر العظم ابن الوافر العظم(١٠٦)
٧١ـ المرتضى المجتبى المخصوص احمد من	اختاره الله قبل اللوح والقدم(١٠٧)
٧٢ـ خير النبيين والبرهان متضح	عقلا ونقلا فلم نرتب ولم نهم(١٠٨)
٧٣ـ اسناهم نسبا ، أزكاهم حسبا	اعلاهم قربا ، من باريء النسم(١٠٩)
٧٤ـ طه المنادى بالقاب العلى شرفا	وغيره بالاسامي ضمن كتبهم(١١٠)
٧٥ـ عزت جلالته ، جلت مكانته	عمت هدايته للخلق بالنعم(١١١)
٧٦ـ أعظم به من نبي مرسل نزلت	في مدحه محكم الآيات من حكم(١١٢)

---

(٩٩) فيه تمكين (بهم) ، والتمكين « ان يمهد الناثر لسجعه فقرة أو الناظم لقافية بيته تمهيداً تأتي به القافية ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها غير قلقة ولا نافرة » (خزانة الادب ص ٤٣٩) .

(١٠٠) فيه حذف ، والحذف هنا هو حذف حرف من حروف الهجاء أو جميع الحروف المعجمة أو جميع الحروف المهملة . وقد حذفت الشاعرة في هذا البيت الاحرف التي تنقط من تحت .

(١٠١) فيه اقتباس ، وقد اقتبست الشاعرة « اقبل ولا تخف » من سورة القصص ، الآية ٣١ .

(١٠٢) فيه نوادر ، والنوادر « ان يأتي الشاعر بمعنى مستغرب لقلة استعماله لا لانه لم يسمع بمثله . وهذا مما اختاره قدامة دون غيره ولكن غالب علماء البديع اختاروا غير رأي قدامة في هذا النوع فانهم قالوا : لا يكون المعنى غريبا الا اذا لم يسمع بمثله » (خزانة الادب ص ٢٢٣) .

(١٠٣) فيه كناية ، والكناية اثبات معنى من المعاني بغير لفظه الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو ردفه في الوجود فيومي اليه ويجعله دليلا عليه . وقد كنت الشاعرة عن اقرار اللواحي بزعمهم النصح بالصيافة .

(١٠٤) فيه مخلص ، أي حسن التخلص ، وهو الانتقال من المعنى الاول الى الثاني انتقالا فيه ارتباط وخروج حسن.

(١٠٥) فيه اطراد ، والاطراد هو الاتيان باسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة له واسم من امكن من أبيه وجده ليزداد الممدوح تعريفا . (الشرح ص ٣٨٢) ، وذلك واضح في بيت الشاعرة .

(١٠٦) فيه تكرار ، وهذا البيت مرتبط بالسابق وقد جاءت به الشاعرة تقريرا له ، بما يجب من التسوية بذكر آبائه من النبيين .

(١٠٧) فيه تكميل ، والتكميل « ان يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو غيره من فنون الكلام واغراضه ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل كمن اراد مدح انسان بشجاعة مثلا ثم رأى ان الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل او بالباس دون الحلم » (الشرح ص ٣٨٢) .

(١٠٨) فيه ترتيب ، والترتيب « أن يجمع الشاعر الى أوصاف شتى في موضوع واحد او في بيت وما بعده على الترتيب ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل الناظم فيها وصفا زائدا عما يوجد عليه في الذهن أو في العيان » (خزانة الادب ص ٣٦٧) . والترتيب في البيت هو في ذكر العقل والنقل ولا ثالث لهما في الحجة .

(١٠٩) فيه تسميط ، والتسميط « أن يجعل الشاعر كل بيت بسمطه أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت » (خزانة الادب ص ٤٣٤) . والتسميط في بيت الشاعرة : « أسناهم نسبا » ـ « أزكاهم حسبا » ـ « أعلاهم قربا » .

(١١٠) فيه سهولة ، حيث لا تكلف ولا تعقيد ولا تعسف في السبك .

(١١١) فيه مماثلة ، وقد تماثلت الفاظ البيت في الزنة دون التقفية كما في قولها : « عزت جلالته » ـ « جلت مكانته » ـ « عمت هدايته » .

(١١٢) فيه اعتراض ، ولو سقطت كلمة « مرسل » لبقي البيت على ترتيبه ولكن مجيئها فيه لافادة التوكيد وتقرير المعنى .

٧٧ــ يَنْبي مفصّلُها عن عزّ مرتبةٍ   من قاب قوسين لم تدرك ولم ترمِ(١١٣)

٧٨ــ تباركَ اللهُ منْ أوحى اليه بما   أوحى وخصّصه بالمنتهى العظمِ(١١٤)

٧٩ــ برتبة القاب ، بالادنى ، بحظوته ،   برؤية الله ، بالايناس بالكلم(١١٥)

٨٠ــ دنا ونال فلا ثانٍ يشاركه   فيما حواه من التخصيص والكرم(١١٦)

٨١ــ أتى وكان نبيا عند خالقه   قدما وآدم طينا بَعْدُ لم يقمِ(١١٧)

٨٢ــ ذو الجاه حيث يضم الخلق محشرهم   ولا يرى غيره في الكشف للغممِ(١١٨)

٨٣ــ ذو المجد حيث أهيل المجد قاطبة   تسير تحت لواه يوم حشرهم(١١٩)

٨٤ــ ذو المعجزات التي منها الكتاب فيا   بشرى لمقتبس منه بكل جسمِ(١٢٠)

٨٥ــ يُتلى ويحلو ولا يبلى وليس له   مبدّلٌ وهو حبل الله فاعتصمِ(١٢١)

٨٦ــ قل للذي ينتهي عما يحاوله   من حصر معجز طه الطاهر الشّيمِ(١٢٢)

٨٧ــ كم اعقبتْ راحةً باللمس راحتُهُ   وكم مَحَتْ ميحنةً ريقٌ له بفمِ(١٢٣)

٨٨ــ والنّيرانِ اطاعاه فتلك بَدَتْ   بعد الافول وهذا شُقّ في الظلم(١٢٤)

---

(١١٣) فيه ابداع ، وقد اودعت الشاعرة الشطرة الثانية من ميمية البوصيري تيمنا بابقاء آثاره . (الشرح ص ٣٩٠) .

(١١٤) فيه اشارة باللفظ القليل الى المعنى الكثير ، أو هو اللمحة الدالة .

(١١٥) فيه تفسير ، والتفسير « ان ياتي المتكلم او الشاعر في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره اما في البيت الآخر او في بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير في أوله والتفسير ياتي بعد الشرط وما هو في معناه والجار والمجرور وبعد المبتدأ الذي يكون تفسيره خبره بشرط أن يكون المفسر مجملا والمفسر مفصلا » (خزانة الادب ص ٤٠٨) . وصحة التفسير في البيت تظهر في أن الترتيب في عجزه والمفسر في صدره وكل قسم مستقل بنفسه .

(١١٦) فيه توشيح ، والتوشيح ان يكون معنى أول الكلام دالا على آخره .

(١١٧) فيه عنوان ، والعنوان « أن ياخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذم او عتاب أو غير ذلك ثم ياتي لقصد تكميله بالفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة وقصص سابقة » (خزانة الادب ص ٣٧٣) . قالت الشاعرة « وعنوان بيتي المتقدم يشير الى اصطفائيته ــ صلى الله عليه وسلم ــ على سائر الانبياء في الازل بدليل قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » وفي رواية : « اني عبدالله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينة » . فاشتمل البيت على عنوان هذا الخبر الصادق » (الشرح ص ٣٩٥) .

(١١٨) فيه تسهيم ، والتسهيم « أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتاخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ » (الشرح ص ٣٩٦) . والسامع للشطر الاول من البيت يعرف تمامه .

(١١٩) فيه حصر الجزئي والحاقه بالكلي وهو ان ياتي المتكلم الى نوع فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر اقسام الانواع منه والاجناس . (الشرح ص ٣٩٧) ويظهر ذلك في حصرها المجد بالرسول (ص) وسير اهل المجد قاطبة تحت لوائه .

(١٢٠) فيه اكتفاء ، والاكتفاء « أن ياتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه ويكتفي بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضي تمام المعنى » (خزانة الادب ص ١٢٦) .

(١٢١) فيه توليد ، وهو أن ينظر الشاعر الى معنى من معاني من تقدمه ويكون محتاجا الى استعماله في بيت من قصيدة فيورده ويولد بينهما معنى آخر . ومعنى بيت الشاعرة مولد من بيت البوصيري :

فلا تعد ولا تحصى عجائبها

ولا تسام على الاكثار بالسأم

(١٢٢) فيه تفصيل ، والتفصيل « أن ياتي الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرا كان أو عجزا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف في التوطئة الملائمة » . (خزانة الادب ص ٢٢٢) . وقالت الشاعرة : « وعجزه تقدم لي في بيت من قصيدة نبوية » (الشرح ص ٤٠٣) .

(١٢٣) فيه موارده ، والموارده ان يتوارد الشاعران على بيت او بعض بيت بلفظه او معناه . وقد قالت الشاعرة : « وقد فتح الله علي بالمقصود من هذا النوع في بيتي المتقدم وقصدت الموارده بشهادة الله تعالى اني لما نظمت هذا البيت تذكرت بعد فراغه بيت الشيخ العلامة البوصيري ــ رحمه الله تعالى ــ قال :

كم أبرأت وصبا باللمس راحته

واطلقت اربا من ربقة اللمم

فصر بيتي وقد تواردنا انا وهو على هذا المعنى » (الشرح ص ٤٠٤) .

(١٢٤) فيه تقسيم ، والتقسيم استيفاء المتكلم اقسام المعنى الذي هو آخذ فيه ، وقد استوفت الشاعرة ذلك في بيتها بعد (النيران اطاعاه) : « فتلك بدت بعد الافول » و « هذا شق في الظلم » وبذلك استوفت المعنى .

٨٩ــ والماء من أصبعيه فاض فيض ندى   كفيه مردود هذا معدم العدمِ(١٢٥)

٩٠ــ فريد حسن تسامى عن مماثله   في الخَلق والخُلق والأحكام والحكم(١٢٦)

٩١ــ بدر الكمال كمال البدر مكتسب   من نوره وضياء الشمس فاعتلم(١٢٧)

٩٢ــ أعظم به من نبيّ سيدٍ سَنَدٍ   هادٍ سراج منير صفوة القدم(١٢٨)

٩٣ــ بالحق مشتغل في الخلق مكتمل   بالبر معتصم بالبرّ ملتزم(١٢٩)

٩٤ــ للبذل مغتنم ، بالبشر متسم   يسمو بمبتسم كالبدر منتظم(١٣٠)

٩٥ــ ممجد الذكر في الفرقان بالحكمِ   محمد الأمر في التبيان من حكم(١٣١)

٩٦ــ جمالُ صورته عنوانُ سيرته   هذا بديعٌ ، وهذي آيةُ الأممِ(١٣٢)

٩٧ــ ولو غدا البحرُ حبرا والفضا ورَقا   في حصرِ أوصافه ضاقا ببعضهم(١٣٣)

٩٨ــ وذكرُه كاد لولا سُنّةٌ سبقت   إذا تكرر يُحيي بالي الرمم(١٣٤)

٩٩ــ علا عن المِثل والتشبيه ممتنع   في وصفه وقصور العقل كالعلم(١٣٥)

١٠٠ــ محمدٌ اسمه نعتٌ لجملة ما   في الذكر من مدحه في نون والقلمِ(١٣٦)

١٠١ــ علاه كالشمس لا يخفى على بَصَرٍ   والوجه كالبدر يجلو حالك الظلم(١٣٧)

١٠٢ــ لو كان ثمّ مثيلٌ قلت طلعته   كالبدر حاشى تعالى كامل العظمِ(١٣٨)

١٠٣ــ قالوا هو الغيثُ قلت الغيثُ أونةً   يهمي وغيثُ نداه لا يزال همي(١٣٩)

١٠٤ــ يُعطي العفاةَ أمانيهم فلست ترى   في حيّه غير ممنوح ومغتنمِ(١٤٠)

---

(١٢٥) فيه جمع مع تقسيم ، فقد جمعت الشاعرة بين الماء وفيض كفيه ، ثم قسمت في بقية البيت .

(١٢٦) فيه جمع ، فقد جمعت بين « الخلق » و « الخلق » و « الاحكام » و « الحكم » في حكم واحد .

(١٢٧) فيه قلب (بدر الكمال ــ كمال البدر) .

(١٢٨) فيه تنسيق الصفات ، اذ ذكرت النبي (ص) واعقبت ذلك بتعديد صفاته « سيد ــ سند ــ هاد ــ سراج منير ــ صفوة القدم » .

(١٢٩) فيه تشطير ، وقد قسمت الشاعرة بيتها شطرين ثم صرعت كل شطر من الشطرين وجاءت بكل شطر من بيتها مخالفا لقافية الآخر . (مشتغل ــ مكتمل) ــ (معتصم ــ ملتزم) .

(١٣٠) فيه سجع (مغتنم ــ متسم ــ مبتسم ــ منتظم) ، وقد جاء روي الاسجاع مثل روي القافية ، وهذا من شروطه في الشعر . (الشرح ص ٤١١) .

(١٣١) فيه ترصيع (ممجد الذكر ــ محمد الامر) ــ (في الفرقان بالحكم ــ في التبيان من حكم) ، وهذا يشبه ترصيع العقد ، وذلك أن يكون في أحد جانبيه من الحبات مثل ما في الآخر .

(١٣٢) فيه لف ونشر (جمال صورته ــ هذا بديع) ــ (عنوان سيرته ــ آية الامم) .

(١٣٣) فيه اغراق في المعنى ، وهو فوق المبالغة ودون الغلو .

(١٣٤) فيه غلو ، ولذلك استعملت (كاد) .

(١٣٥) فيه مبالغة ، وقد قالت الشاعرة : « وبالجملة فكل مبالغة في هذا المقام ممكنة غير مستحيلة في معجزات الممدوح ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعظم قدره » . (الشرح ص ٤١٥) .

(١٣٦) فيه اتفاق . قالت الشاعرة : « الاتفاق في بيتي بركة الممدوح ــ صلى الله عليه وسلم ــ ظاهر ، فان اسمه الشريف محمد اسم علم لن كثرت اخلاقه الحميدة فحمد مرة بعد مرة فهو محمد ، وقد مدح في (ن) بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » فطابق اسمه على مدحه . وظاهر الاتفاق الذي هو النوع في البيت » . (الشرح ص ٤١٥) .

(١٣٧) فيه جمع مع تفريق .

(١٣٨) فيه تشبيه (كالبدر) .

(١٣٩) فيه تفريق ، والتفريق « أن يعمد الى شيئين من نوع فيقع بينهما تباين في مدح أو غيره » . (الشرح ص ٤١٩) ، والتباين في البيت ان الرسول (ص) غيث والمطر غيث ولكن غيث ندى الرسول دائم ، وغيث المطر ينزل تارة ولا ينزل أخرى فهو منقطع أبدا .

(١٤٠) فيه صحة الاقسام . قالت الشاعرة : « وقد فتح الله علي بالمقصود في هذا البيت بصحة هذا النوع . فان الممدوح هو الذي امتلا من العطاء فلم يبق له حاجة ، والمغتنم هو الذي اعطى ولم يبلغ مبلغ من امتلا فهو يغتنم منائح الجود حتى يساويه ولا ثالث لهذين القسمين في حضرة المعطي الاشرف الذي هو النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فانه لا يكون فيهما محروم ولا يائس » (الشرح ص ٤٢٠) .

١٠٥ـ في النور لاح علاه لا نظير له ... سور القرآن قرآنا من لدن حكم(١٤١)

١٠٦ـ حاز الجمال كما في حسن منصفه ... بشطره بعض ما في سيد الامم(١٤٢)

١٠٧ـ وكل معنى بديع دون رتبة من ... سما من الخلق عبد الحق في القدم(١٤٣)

١٠٨ـ هو الحبيب من الرحمن رحمته ... للعالمين بايجاد من العدم(١٤٤)

١٠٩ـ غوث الورى كعبة الاحسان ملتزمي ... في حبه بالتفاني صار من لزمي(١٤٥)

١١٠ـ جردت حججي له من كل منقصة ... ولم تزل بالعطا تسعى له قدمي(١٤٦)

١١١ـ بحسن الوفاء دعاني بالوفاء الى ... نيل الوفاء ورواني من النعم(١٤٧)

١١٢ـ بغيت ما أروم منهم فلم أرم ... عمن جلا غمي بالعزم والهمم(١٤٨)

١١٣ـ صحح عزيمة صدق في محبته ... ونل مرادك وابلغ كل ما ترم(١٤٩)

١١٤ـ وافرده بالمدح واستثن بمدحك من ... حازوا علا الفضل من فازوا بسبقهم(١٥٠)

١١٥ـ الباذلو النفس بذل المال من يدهم ... والحافظو الجار حفظ العهد والذمم(١٥١)

١١٦ـ لا يسلبون بفضل الله ما وهبوا ... ويسلبوا(١٥٢) ضر الاملاق والعدم(١٥٣)

١١٧ـ سود الوقائع حمر البيض في حرب ... خضر المرابع بيض الفعل والشيم(١٥٤)

١١٨ـ كأنهم في عجاج النقع حين بدوا ... بدور تم بدت في حندس الظلم(١٥٥)

١١٩ـ للجمع فلوا وما فلت عزائمهم ... وهي الوافي على استئصال كل عم(١٥٦)

---

(١٤١) فيه اشتراك (القرآن ـ قرآنا) . والاشتراك « أن يأتي الناظم في بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو فرعيا فيسبق ذهن السامع الى المعنى الذي لم يرده الناظم فيأتي في آخر البيت بما يؤكد أن المقصود غير ما توهمه » (خزانة الادب ص ٣٦٥) .

(١٤٢) فيه تلميح . قالت الشاعرة : « التلميح في بيتي يشير الى معنى الأثر المشهور من أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوتي الحسن كله وأوتي يوسف ـ صلاة الله عليه ـ شطره والله أعلم » (الشرح ص ٤٢٣) .

(١٤٣) لم تضع الشاعرة له عنوانا في شرحها لانه لا يدخل في باب مستقل من أبواب البديع عندها .

(١٤٤) فيه المذهب الكلامي ، وهو ان يورد الشاعر مع الحكم ردا لمنكر حجة صحيحة ، فالذي أوجد من العدم قادر على أن يمنح نبيه رحمة للعالمين .

(١٤٥) فيه التزام ، وهو لزوم ما لا يلزم (ملتزمي ـ لزمي) وقد التزمت الشاعرة في القافيــة حرفين هما الزاي والميم .

(١٤٦) فيه توجيه ، والتوجيه « أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو غيره » (خزانة الادب ص ١٣٥) .

(١٤٧) فيه ترديد ، والترديد « أن يعلق لفظــة في البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخـر » (الشرح ص ٤٢٧) ويتضح ذلك في لفظة (الوفاء) في البيت .

(١٤٨) فيه تجزئة ، وقد جزأت الشاعرة بيتها اجزاء عروضية وسجعتها . والبيت مكسور شطره الاول .

(١٤٩) لم تضع الشاعرة له عنوانا لانه لا يدخل في باب مستقل من أبواب البديع عندها .

(١٥٠) فيه ايضــاح . قالت الشاعــرة : « فاني لما قلت « واستثن بمدحك من حازوا علا الفضل » لم يعلم من هم المقصودون بالمدح فلما قلت « من فازوا بسبقهم » زال اللبس واتضح انهم الصحابة ـ رضي الله عنهم وعنا بمنه وكرمه » (الشرح ص ٤٢٩) .

(١٥١) فيه استتباع « أن يذكر الناظم او الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن » (خزانة الادب ص ٤١٧) . وقد قالت الشاعرة : (الباذلــو النفس) ثم قالت : (والحافظو الجار) .

(١٥٢) كذا في الاصــل .

(١٥٣) فيه سلب وايجاب وهو « أن يبني المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة واثباته من جهة أخرى » أو « أن يقصــد المادح افراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره فينفيها في أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها لممدوحه بعد ذلك » (خزانة الادب ص ٣٦١) . وقد بنت الشاعرة بيتها على النفي في أوله والاثبات في تكملته .

(١٥٤) فيه تدبيج والتدبيج أن يذكر الناظم أو الناثر الــوانا بقصد الكناية بها او التورية بذكرها من وصف أو مدح أو غيرهما . وقد كنت الشاعرة عن الشدة بـ « سـود الوقائع » وعن الحرب والشجاعة في القتال بـ « حمر البيض » وعن الرفاهية والكرم بـ « خضر المرابع » .

(١٥٥) فيه تشبيه شيء بشيئين (كأنهم بدور) ـ (في حندس الظلم) .

(١٥٦) فيه تنكيت . قالت الشاعرة : « خصصت الاستئصال

←

١٢٠ــ هُمُ النجوم فما أسنى مطالعهم ... في أفق ملته البيضا بهديهم(١٥٧)

١٢١ــ لا يمزج الشك منهم صفو معتقد ... ولا يشين التقى بالاثم واللمم(١٥٨)

١٢٢ــ بالسبق فازوا بتخصيص تقدمهم ... فيه خليفته الصديق ذو القدم(١٥٩)

١٢٣ــ لا عيب فيهم سوى أن لا يضام لهم ... وفد ولا يبخلوا(١٦٠) بالرفد في العدم(١٦١)

١٢٤ــ سادوا المعالي بخير الخلق في أزل ... حازوا الاماني باوفى الناس للذمم(١٦٢)

١٢٥ــ طه الذي إن اخف ذنبي ولذت به ... آمنت خوفي ونجاني من النقم(١٦٣)

١٢٦ــ ولا طمحت الى شيء من الكرم ... إلا وبلغني فوق الذي ارم(١٦٤)

١٢٧ــ ما هبت الريح إلا شمت برق وفا ... لي فيه وبل عطا من ديمة النعم(١٦٥)

١٢٨ــ ياأكرم الرسل سؤلي فيك غير خفي ... وانت اكرم مدعو الى الكرم(١٦٦)

١٢٩ــ حسبي بحبك ان المرء يحشر مع ... احبابه فهناني غير منحسم(١٦٧)

١٣٠ــ مدحت مجدك والاخلاص ملتزمي ... فيه وحسن امتداحي فيك مختتمي(١٦٨)

بالذكر لمفهومه وهو محق دولة الكفر وحسم مواد أصله. ولو قلت غير هذه اللفظة لسد مسدها ، ولكن في الاستدراك نكتة ليست في غيره وهي ما ذكرته . وكذا في قولي « كل عم » فلو قلت « محتم » لسد ، ولكن كان يفوتني معنى الاطلاق . هذا مع اشتمال البيت المذكور مع تحرير النوع فيه على المناسبة البديعية بين الماضي والفلول وحسن الكتابة عن صحة العزائم الى غير ذلك من الانواع والله أعلم » (الشرح ص ١٢٥) .

(١٥٧) فيه مساواة بين اللفظ والمعنى .

(١٥٨) فيه نفي الشيء بايجابه ، وهو « أن يثبت المتكلم شيئا في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي اثبته » (خزانة الادب ص ٢٣٢) .

(١٥٩) فيه جمع المؤتلف والمختلف ، وهو « أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح احدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتي لأجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية » (الشرح ص ١٤١) . وقد رجحت ابا بكر الصديق (رض) لانه من اول السابقين الى الاسلام .

(١٦٠) كذا في الاصل و « يبخلوا » معطوف على « يضام » .

(١٦١) فيه مدح في معرض الذم .

(١٦٢) لم تضع الشاعرة له عنوانا ؛ لانه لا يدخل في باب مستقل من ابواب البديع عندها .

(١٦٣) فيه ازدواج ، وقد زاوجت الشاعرة في البيت بين معنيين في الشرط والجواب (ان اخف ...) ــ (آمنت خوفي) .

(١٦٤) فيه تصريع ، وهو استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي (من الكرم) . (الذي ارم) .

والبيت جاء بهذه الصورة في بديعية الشاعرة .

(١٦٥) فيه فرائد ، والفرائد أن يأتي الناظم او الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد وتدل على فصاحة المتكلم بحيث لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها » (خزانة الادب ص ٣٧٢) .

والفريدة في بيت الشاعرة (شمت) كما ذكرت في شرحها ص ١٥٤ .

(١٦٦) فيه براعة الطلب ، وهو « ان يلوح الطالب بالطلب بالفاظ عذبة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح ، بل يشعر بما في النفس دون كشفه » (الشرح ص ١٥٤) .

وقد ذكرت الشاعرة أن سؤلها في النبي العظيم ــ صلى الله عليه وسلم ــ غير خف ، وان طلبها الذي اشارت اليه جاء تلويحا بالفاظ عذبة مقترنة بتعظيم الرسول الكريم . ثم ختمت بيتها بعد طلبها بالقول ان محمدا (ص) اكرم مدعو الى الكرم .

(١٦٧) فيه عقد ، وهو نظم المنثور . ومن شرائط العقد أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه أو بمعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ، ومتى اخذ معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من أنواع السرقات ولا يسمى عقدا الا اذا اخذ الناظم المنثور برمته وان غير منه شيئا بطريق من الطرق على أن يعرف أصل الكلام المأخوذ (خزانة الادب ص ٤٥٩ ، والشرح ص ١٥٦) . قالت الشاعرة : « وبيتي عقده ظاهر ، والمقصود فيه من العقد قول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « يحشر المرء مع من احب » . وفي رواية « المرء مع من احب » (الشرح ص ١٦١) .

(١٦٨) وفيه حسن الختام ، وهو « أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل او الخطيب او الشاعر مستعذبا لتبقى لذته في الاسماع » . وقالت الشاعرة : « وبالجملة فمحاسن هذا النوع لا تدخل تحت دائرة الحصر . وفي هذا التلويح كفاية في الدلالة على صحة النوع في بيتي المتقدم وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين » (الشرح ١٦٤، ١٦٧) .

— ٤ —

هذه قصيدة عائشة الباعونية وهي تجري فيها مجرى شعراء البديعيات الذين اتخذوا من مدائحهم للنبي محمد — صلى الله عليه وسلم — وسيلة لاظهار فنون البلاغة . وقد كانت عائشة اقرب الى ابن حجة الحموي وان لم تسمّ الفن البديعي او تورّي عنه كما فعل ، ولكنها اعتمدت عليه في الشرح كثيرا ونقلت عنه تعريفاته للفنون البلاغية كما استفادت من كتاب « حسن التوسل » للشهاب الحلبي وكتب ابن ابي الاصبع المصري في البلاغة كتحرير التحبير وبديع القرآن . وكانت ترجع الى كلام عبدالله بن المعتز صاحب كتاب « البديع » وقدامة بن جعفر مؤلف كتاب « نقد الشعر » والقزويني صاحب « التلخيص » و « الايضاح » . ويتضح ان اعتمادها على شعراء البديعيات في الشرح أكثر ، لاتصال عملها بهم وارتباطها بالفن الذي طرقوه .

لقد كانت بديعية الباعونية من القصائد التي اثرت في البلاغة لان الشاعرة لم تشر الى الفن البلاغي وبذلك احتاجت الى ايضاح وشرح ولولا ذلك لبقيت القصيدة تتلى او تحفظ من غير فهم دقيق . وقد فعل مثل ذلك الشعراء الذين كنّوا من الغرض ووروا او لم يفعلوا ، ومن هؤلاء ابن حجة الحموي الذي اتخذته الشاعرة اماما لها في فن البديع فقد التزم بتسمية الفن البديعي ولم تلتزم به الشاعرة . يقول في براعة الاستهلال :

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم

براعة تستهل الدمع في العلم

فقوله « براعة تستهل » اشارة الى الفن البديعي . اما الباعونية فقالت :

في حسن مطلع اقماري بذي سلم

اصبحت في زمرة العشاق كالعلم

وفي قولها : « حسن مطلع » اشارة خفية الى براعة الاستهلال او حسن المطلع . ولكنها حينما جاءت الى الجناس المذيل والتام(١٦٩) لم تشر الى التسمية . وانما قالت :

اقول والدمع جار جارحٌ مقلي

والجارُ جار بعذل فيه متهم

(١٦٩) سبق شرح الجناس المذيل والجناس التام في هامش رقم (٣٥) من هذا البحث .

وليس في هذا البيت تورية عن الجناس او انواعه ، غير ان العارف يعلم انها ذكرت الجناس المذيل في « جار — جارح » والتام في « الجار — جار » . وقد قال الحموي عن المذيل :

وذيل الهم همل الدمع لي فجرى

كلاحق الغيث حيث الارض في ضرم

فقوله « وذيل » اشارة الى الجناس المذيل و « الهم — همل » شاهد له . وقوله « كلاحق » اشارة الى الجناس اللاحق و « الغيث — حيث » شاهد له . وقال من الجناس التام :

يا سعد ما تمّ لي سعد يطرفني

بقربهم وقليل الحظ لم يلم

فقوله « تم » اشارة الى الجناس التام و « سعد — سعد » شاهد له .

وسبيل ابن حجة الحموي اقرب الى المدارك والاذهان لانه أشار الى الفن البديعي ، اما عائشة الباعونية فقد جردت بديعيتها من التسمية وبذلك كانت بعيدة المنال لا تدرك الا بعد التأمل . وكان صفي الدين الحلي قد فعل ذلك ، والتزم عزالدين الموصلي بالتسمية فجاءت بديعيته ثقيلة على خلاف بديعية الحلي . وقد اشار الحموي الى ذلك بقوله وهو يذكر الموصلي : « التزم فيها بتسمية النوع البديعي وورّى بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفي الدين الحلي — تغمده الله برحمته — لانه ما التزم في بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل »(١٧٠) . وتحررت الباعونية من هذا العبء الثقيل غير انها لم تصل الى ما وصل اليه الحلي في بديعيته لانه كان شاعرا كبيرا له القدرة على التعبير والاداء ، وكانت تنظم الشعر بدافع نبيل وحب لرسول الله عظيم ، وشتان بين ناظم وشاعر . ولذلك جاءت بديعيتها تشكو الكثير ومن ذلك ابهام الانواع البديعية فشرحتها شرحا موجزا ينفع الشادي في الادب ولكنه لا يحقق طموح الاديب .

ومهما يكن من امر فان لعائشة الباعونية اثرا في البلاغة في القرن التاسع وما بعده لانها كانت حلقة من حلقات علم البديع ، وهي حلقات لم تنقطع الا في القرن الرابع عشر للهجرة ، وكانت بديعيتها من معالم الدرس البلاغي في عصرها . ولو تهيأت لها الاسباب لابدعت واجادت ، ويكفي

(١٧٠) خزانة الادب ص ٢ .

انها كانت صوتا للمرأة المسلمة المؤمنة ، وفخرا للامة التي انجبت الشهيرات في العلم والفقه والتصوف والادب ، وليس ذلك بقليل في عصر قيل عنه انه مظلم ، وزمان كسدت فيه سوق العلم والادب .

— ٥ —

تلك أهم ملامح تأثير المدائح النبوية في البلاغة العربية ، وقد تمثل ذلك التأثير في البديعيات وهي كثيرة تدل على اهتمام عظيم بفنون البديع في الفترة المتأخرة . واذا كان فيها اسراف في الصنعة والتفنن في ايجاد انواع بديعية دعا الدارسين الى انتقادها وتصويرها بغير حقيقتها ــ فان الجهد المبذول فيها كبير يدل على ما كان يتمتع به اولئك الشعراء من صبر على النظم واطلاع على اللغة وذكاء في معالجة الفنون والتورية عنها . وهي تمثل اتجاها جديدا في تأريخ البلاغة يختلف كل الاختلاف عما عرف من شروح التلخيص التي سيطرت على الدرس البلاغي بعد القرن السابع للهجرة ، وتصور حياة الادب في تلك الفترة التي جنح فيها الشعر الى العناية بصور البديع . وكانت تطبيقا لذلك الادب وما حفل به من فنون بديعية لهج بها الشعراء المولدون واحصى منها ابن المعتز ثمانية عشر وترك الباب مفتوحا لمن اراد التوسع فيها ، وكأن البديعيات كانت استجابة لتلك الدعوة . وتمثل البديعيات ــ ايضا ــ العودة الى البديع كما عرفه الجاحظ وابن المعتز وقدامة بن جعفر وغيرهم من البلاغيين الذين سبقوا تقسيم البلاغة وحصر البديع في المحسنات اللفظية والمعنوية .

يضاف الى ذلك ان العصر الذي عاش فيه اصحاب البديعيات كان يُعنى بنظم علوم اللغة تقريبا لها وضبطا لقواعدها . وقد رأى البديعيون ان البلاغة ينبغي ان تقيد ليسهل حفظها ويعم نفعها ، وقاموا بذلك خير قيام مع ما في النظم من تكلف واسفاف في بعض الاحيان .

ولم تكن البديعيات في مستوى واحد بل اختلفت بتعدد اصحابها وتباين ثقافاتهم ومواهبهم ، ولعل بديعية صفي الدين الحلي اجودها شعرا واصدقها عاطفة لانه لم يلتزم التورية عن الفن البديعي كما التزمه الموصلي والحموي .

والبديعيات بعد ذلك ثلاثة الوان :

الاول : ليس فيه تسمية النوع البديعي ويمثله الحلي والباعونية .

الثاني : فيه تسمية النوع ويمثله الموصلي والحموي .

وهذان اللونان مع اختلاف في الاسلوب يمثلان البلاغة بفنونها الثلاثة ؛ لان البديع عند اصحابهما لا ينحصر فيما عرفه اصحاب الشروح والتلخيصات وانما يشمل المعاني والبيان والبديع .

الثالث : حصر البديع في المحسنات اللفظية والمعنوية ، ويمثله ابن جابر الاندلسي الذي اتخذ من مذهب السكاكي والقزويني سبيلا .

وقد ظهر اثر البديعيات في البلاغة واضحا في :

١ ــ انها سلكت فنون البلاغة في ابيات شعرية يسهل حفظها وانتشارها ، لان الشعر ايسر في الحفظ واكثر دورانا ، ولا سيما اذا كان في مدح النبي العظيم محمد صلى الله عليه وسلم . وقد كان العصر الذي ظهر فيه اصحاب البديعيات عصر زهد وتصوف وتوجه الى الله لينقذهم مما هم فيه من ظلم واستبداد .

٢ ــ انها لم تفرق بين علوم البلاغة وانما سلكتها في علم واحد هو البديع بمعناه الواسع ، أي انها دعوة للعودة الى ما كانت عليه البلاغة في عهد كبار البلاغيين كالجاحظ وقدامة وعبدالقاهر الجرجاني وابن رشيق وابن سنان وضياء الدين بن الاثير وغيرهم ممن جعل البلاغة علما واحدا يعبر بها عن « فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا او تكلموا واخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا ان يعلموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم »(١٧١) .

٣ ــ انها دفعت المؤلفين او الشعراء انفسهم الى شرح البديعيات كما فعل ابن حجة الحموي وعائشة الباعونية وابن معصوم المدني وغيرهم . وقد كانت شروحهم من اهم كتب البلاغة العربية في تلك الفترة ، لانها جمعت كل ما عرفته البلاغة من فنون قبل القرن

---

(١٧١) دلائل الاعجاز ص ٣٥ .

السابع للهجرة وذكرت كثيرا من آراء المتقدمين وتعريفاتهم ، ولانها أعطت صورة دقيقة للحياة الادبية في تلك الفترة وحددت الذوق الفني الذي كان الادباء يلتزمون به .

٤ ــ انها دفعت الشراح الى التجديد في الشواهد البلاغية والاستعانة بالشعراء المعاصرين لهم، وتكاد « خزانة الادب » للحموي تمثل عصره أدق تمثيل ، لان المؤلف ذكر كثيرا من شعر معاصريه وبذلك حفظ لنا ثروة ادبية ترسم ملامح ذلك العصر . ولم يكن شراح التلخيص كذلك ؛ لانهم لم يخرجوا كثيرا على شواهد التلخيص للقزويني وشواهد البلاغة القديمة، وبذلك كان اصحاب البديعيات وشراحها اكثر تمثيلا لعصرهم من شراح التلخيص ، ولعل فيما قدموه نفعا ، ولعل فيما قدمه هذا البحث فائدة لمن تعنيه الثقافة العربية الاسلامية .

المصادر والمراجع

١ ــ الاعلام ــ خيرالدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، القاهرة .

٢ ــ اعلام النساء ــ عمر رضا كحالة ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٩م .

٣ ــ أنوار الربيع في أنواع البديع ــ ابن معصوم علي صدر الدين المدني ، تحقيق شاكر هادي شكر ، النجف ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م .

٤ ــ الايضاح ــ الخطيب القزويني ، تحقيق لجنة باشراف محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة .

٥ ــ بديعيات الآثاري ــ زين الدين شعبان بن محمد القرشي الآثاري ، تحقيق هلال ناجي ، بغداد ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م .

٦ ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ــ جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م .

٧ ــ البلاغة تطور وتاريخ ــ الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٦٥م .

٨ ــ البيان والتبيين ــ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م .

٩ ــ التلخيص ــ الخطيب القزويني ، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي ، الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٣٥٠هـ ــ ١٩٣٢م .

١٠ــ خزانة الادب وغاية الارب ، ابن حجة الحموي ، الطبعة الاولى ــ القاهرة ١٣٠٤هـ .

١١ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ (الطبعة العربية) مادة (بديع) .

١٢ــ دلائل الاعجاز ــ عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا ، القاهرة ١٣٧٢هـ .

١٣ــ ديوان صفي الدين الحلي ــ دار صادر ــ بيروت ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٢م .

١٤ــ السيرة النبوية ــ أبو محمد عبدالملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته ، الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٥م .

١٥ــ شذرات الذهب ــ ابن العماد الحنبلي ، القاهرة .

١٦ــ شرح بديعية الباعونية ــ عائشة الباعونية (مطبوعة على حاشية خزانة الادب ــ لابن حجة الحموي) .

١٧ــ شروح التلخيص ــ القاهرة ١٩٣٧م .

١٨ــ شعر صفي الدين الحلي ــ الدكتور جواد احمد علوش، بغداد ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٩م .

١٩ــ الصبغ البديعي في اللغة العربية ــ الدكتور احمد ابراهيم موسى ، القاهرة ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٩م .

٢٠ــ طراز الحلة وشفاء الغلة ــ ابو جعفر الرعيني ، مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ، رقم (١٢١٤١) .

٢١ــ فنون بلاغية ــ الدكتور احمد مطلوب ، بيروت ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م .

٢٢ــ فوات الوفيات ــ محمد بن شاكر بن احمد الكتبي ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٥١م .

٢٣ــ القزويني وشروح التلخيص ــ الدكتور احمد مطلوب ، بغداد ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م .

٢٤ــ كتاب الصناعتين ــ أبو هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م .

٢٥ــ المدائح النبوية في الادب العربي ــ الدكتور زكي مبارك ، القاهرة ١٩٦٧م .

٢٦ــ مصطلحات بلاغية الدكتور احمد مطلوب ، بغداد ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م .

٢٧ــ معجم المؤلفين ــ عمر رضا كحالة ، دمشق ١٣٧٧هـ ــ ١٩٥٨م .

٢٨ــ مناهج بلاغية ــ الدكتور احمد مطلوب ، بيروت ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م .

٢٩ــ نفحات الازهار ــ عبدالغني النابلسي ، دمشق ١٢٩٩هـ .